منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

القديس البابا أثناسيوس الرسولى
حامى الإيمـــان

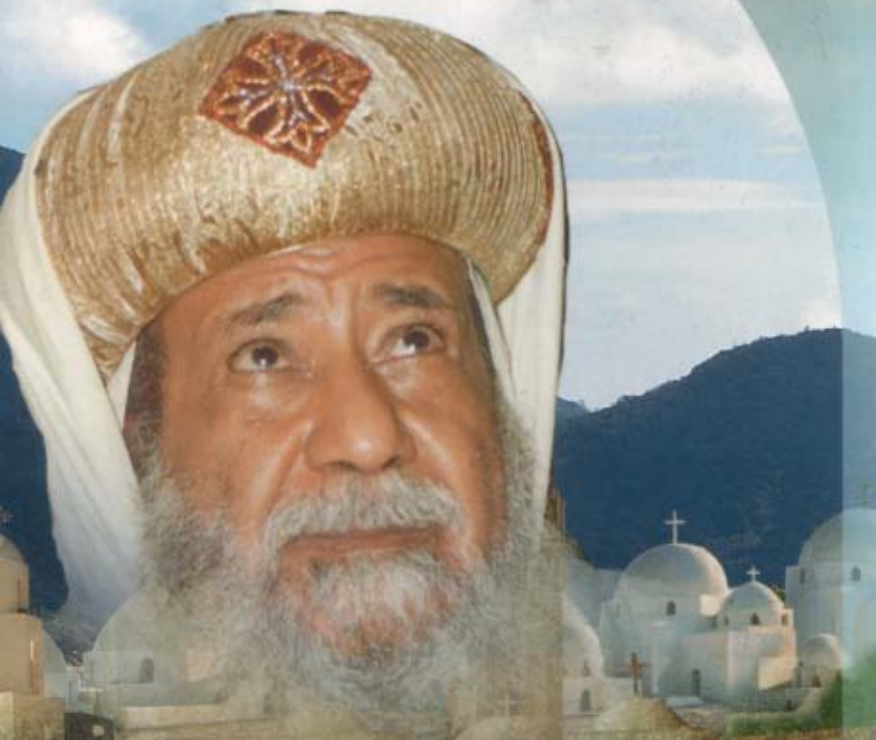

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

القديس البابا أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان

بقلم
المتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

الكتاب : القديس البابا أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان

المؤلف: المتنيح الأنبا غريغوريوس

إعداد : الإكليريكى منير عطية

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس ـ دير الأنبا رويس بالعباسية مصر

ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢

الغلاف : الفنان عادل لبيب

المطبعة: شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت: ٦١٠٠٥٨٩

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٤٩١ / ٢٠٠٤

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس

الفهارس

صفحة

١ ـ إهداء. ٧

٢ ـ أثناسيوس القديس. ١١

٣ ـ قانون الإيمان لأثناسيوس. ١٢

٤ ـ أهمية القديس أثناسيوس. ١٧

٥ ـ شجاعة القديس أثناسيوس. ٣٢

٦ ـ تاريخ الإنسان تاريخ آلامه. ٥٢

٧ ـ أثناسيوس المعذب الصامد. ٥٦

٨ ـ أثناسيوس ومدينة ترير. ٧١

٩ ـ أثناسيوس أب جميع المسيحيين. ٧٨

١٠ ـ أثناسيوس الحارس الآمين. ٩٢

١١ ـ الفكر اللاهوتى للقديس أثناسيوس. ١٠٣

١٢ ـ القديس أثناسيوس الرسولى وقضية لاهوت المسيح. ١٠٩

١٣ ـ لاهوت المسيح فى تعليم القديس أثناسيوس. ١٢٢

١٤ ـ نماذج لكتابات أثناسيوس «لماذا مات المسيح مصلوباً». ١٣٤

١٥ ـ لقب حامى الإيمان. ١٣٩

١٦ ـ س و ج مع نيافة الأنبا غريغوريوس. ١٤٠

The Significance of Saint Athanasius for the Coptic Orthodox Church. ١٦٨

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكل تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم!

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته

أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريغوريوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

أثناسيوس القديس (٢٩٣ - ٣٧٣)

بابا الإسكندرية العشرون. لُقّب بـ (الرسولي) و(حامي الإيمان) قاوم بشدة المذهب الأريوسي. قال ضداً لأريوس إنّ المسيح هو كلمة الله المتجسد، وهو من طبيعة الله الآب ومن جوهره (هومو اوسيوس) (homo'ousios). اشتهر أثناسيوس بدقة تعبيراته اللاهوتية. قال عنه أحد آباء الكنيسة: "إذا وجدتَ كلاماً لأثناسيوس ولم تجد ورقاً، فاكتبه على ثيابك." حضر المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة ٣٢٥ واشترك في صياغة (قانون الإيمان) الذي يتلوه جميع المسيحيين شرقاً وغرباً.

صار بطريرك الإسكندرية سنة ٣٢٨. نُفي خمس مرات بسبب تشدده في مقاومة الفكر الأريوسي. في أثناء نفيه بمدينة تريير TRIER بألمانيا/ كتب في سنة ٣٣٦ "سيرة القديس انطونيوس" الراهب المصري. وبذلك صار لأثناسيوس الفضل في التعريف بالرهبنة المصرية، وبالتالي في تأسيس النظم الديرية في الغرب.

إنه هو الذى دشن كنيسة القيامة بأورشليم القدس
بدعوة من الملك قسطنطين. وهو الذى رسم لإثيوبيا
الحبشة أول أسقف عليها. من أهم مؤلفاته "فى تجسد الكلمة"
De Incarnatione ، "الرد على أريوس" وهو الذى حمل
لواء المقاومة المصرية ضد بيزنطة والنفوذ الغربى. تُعيّد له
الكنيسة المصرية فى ١٥ مايو

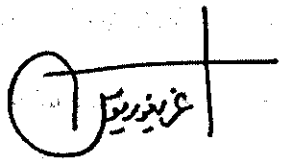

القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٣ - ٣٧٣م)

بابا الإسكندرية العشرون. لُقّب بـ (الرسولىّ) و(حامى الإيمان)، قاوم بشدة المذهب الأريوسى. قال ضِداً لأَريوس إنّ المسيح هو كلمة الله المتجسد، وهو من طبيعة الله الآب ومن جوهره (هومو أوسيوس) (homo'ousios). أشتهر أثناسيوس بدقة تعبيراته اللاهوتية. قال عنه أحد آباء الكنيسة: «إذا وجدت كلاماً لأثناسيوس ولم تجد ورقا، فاكتبه على ثيابك». حضر المجمع المسكونى الأول فى نيقية سنة ٣٢٥ واشترك فى صياغة (قانون الإيمان) الذى يتلوه جميع المسيحيين شرقاً وغرباً.

صار بطريرك الإسكندرية سنة ٣٢٨. نُفِى خمس مرات بسبب تشدده فى مقاومة الفكر الأريوسى. فى أثناء نفيه بمدينة ترير Trier بألمانيا فى سنة ٣٣٦ كتب «سيرة القديس أنطونيوس» الراهب المصرى.

وبذلك صار لأثناسيوس الفضل فى التعريف بالرهبنة المصرية، وبالتالى فى تأسيس النظم الديرية فى الغرب.

إنه هو الذى دشّن كنيسة القيامة بأورشليم القدس بدعوة من الملك قسطنطين. وهو الذى رسم لإثيوبيا الحبشة أول أسقف عليها. من أهم مؤلفاته «فى تجسّد الكلمة» De Incarnatione ، «الرد على أريوس» وهو الذى حمل لواء المقاومة المصرية ضد بيزنطة والنفوذ الغربى. تعيّد له الكنيسة المصرية فى ١٥ مايو.

قانون الإيمان الأثناسيوسى (١).

١ - كل من يروم أن يخلص يجب عليه أولا وقبل كل شيء أن يحفظ الإيمان الجامع الشامل ويتمسك به.

٢ - ومن لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله ومن غير إفساد أو تعديل فيه يهلك هلاكاً أبدياً.

---

(١) المعروف أن هذا القانون كتب أولا باللغة اللاتينية

MIGNE, PATROLOGIA LATINA, 88, 575

وترجمت بعد ذلك إلى اليونانية.

MIGNE, PATROLOGIA GRAECA, 38, 1582- 1583.

وأما الترجمة العربية فلم تُعرف قبل القرن الثامن عشر، وهى موجودة فى مخطوط بالمتحف القبطى بمصر القديمة عنوانه: «اعتقاد مار أثناسيوس الرسولى» (مخطوط رقم ٧٤- لاهوت ٣٤٩- صفحات ٢٢- ٢٦).

انظر: مرقس سميكة باشا: فهارس المخطوطات القبطية والعربية، الجزء الأول صفحة ٣٨ ثم جبرائيل روفائيل الطوخى: كتاب حامى الإيمان القويم، القاهرة ١٩٣٣ صفحات ١٤١- ١٤٣.

أما عند الغربيين، فيرد القانون الأثناسيوسى فى كتاب السواعى (الأجبية) اللاتينية فى صلاة الساعة الأولى من يوم الأحد PRIME كما يرد استخدامه فى طقس جحد الشيطان وصلوات التعزيم على الأرواح النجسة

EXCORCISMUS OBSESSORUM.

انظر مقالا للأب المحترم جيرارفيو راعى كنيسة فاقوس الكاثوليكية تحت عنوان (قانون الإيمان المنسوب إلى القديس أثناسيوس الرسولى) بمناسبة الذكرى المئوية السادسة عشرة لوفاة القديس أثناسيوس الرسولى.

٣ ـ والإيمان الجامع الشامل هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث ونعبد الثالوث فى وحدانية.

٤ ـ ويجب ألا نخلط بين الأقانيم، ولا أن نفصل فى الجوهر أو نقسم الذات.

٥ ـ فإن للآب أقنوماً، وللابن أقنوماً آخر، وللروح القدس أقنوماً آخر.

٦ ـ ولكن الآب والابن والروح القدس، ليسوا إلا إلهاً واحداً ومجداً واحداً وعظمة أبدية واحدة.

٧ ـ وكما هو الآب كذلك الابن وكذلك الروح القدس.

٨ ـ فالآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

٩ ـ الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠ ـ الآب سرمدى، والابن سرمدى، والروح القدس سرمدى.

١١ ـ ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد.

١٢ ـ وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

١٣ ـ كذلك الآب قادر على كل شىء، والابن قادر على كل شىء، والروح القدس قادر على كل شىء.

١٤ ـ ومع ذلك ليسوا ثلاثة قادرين على كل شىء بل واحد قادر على كل شىء.

١٥ ـ فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله.

١٦ ـ ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧ ـ كذلك الآب هو الرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب.

١٨ ـ ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد.

١٩ ـ وكما أن الديانة المسيحية تأمرنا بأن نعترف بأن كل أقنوم من الأقانيم هو بذاته إله ورب، كذلك تنهانا عن القول بثلاثة آلهة أو ثلاثة أرباب.

٢٠ ـ والآب لم يكونه أحد آخر، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، وغير مولود.

٢١ ـ والابن مولود من الآب وحده، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، بل مولود.

٢٢ ـ والروح القدس منبثق من الآب، ولم يكن مصنوعاً ولا مخلوقاً، ولا مولوداً.

٢٣ ـ فالآب إذن واحد، لا ثلاثة آباء. والابن واحد لا ثلاثة أبناء. والروح القدس واحد، لا ثلاثة أرواح قدس.

٢٤ ـ وليس فى هذا الثالوث من هو أسبق من الآخر فى الزمن أو متخلف عنه أو أكبر منه، أو أصغر منه، وإنما الأقانيم الثلاثة جميعاً سرمدية ومتساوية.

٢٥ ـ ولهذا فى جميع الأمور كما ذكرنا ينبغى أن يعبدَ الثالوث فى وحدانية، والوحدانية فى ثالوث.

٢٦ ـ فمن شاء إذن أن يخلص، عليه أن يكون هذا هو اعتقاده فى الثالوث.

٢٧ ـ كذلك يلزم للخلاص الأبدى أن نؤمن عن يقين بتجسد ربنا يسوع المسيح.

٢٨ ـ لأن الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله، هو إله وإنسان معاً.

٢٩ ـ هو إله مولود من جوهر الآب قبل العالمين. وهو إنسان مولود من جوهر أمه فى العالم.

٣٠ ـ هو إله تام، وهو إنسان تام ذو نفس ناطقة وجسد بشرى ذو كيان (ووجود).

٣١ ـ هو مساوى للآب بحسب لاهوته، وهو دون الآب بحسب ناسوته.

٣٢ ـ وهو ـ وإن يكن إلهاً وإنساناً معاً ـ لكنه ليس اثنين وإنما هو مسيح واحد.

٣٣ ـ هو واحد لا بتحول اللاهوت إلى ناسوت، وإنما باتخاذ اللاهوت للناسوت.

٣٤ ـ هو واحد فى الجملة، لكنه لا باختلاط الجوهر وإنما بوحدانية الأقنوم.

٣٥ ـ لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد هما معاً إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان هما معاً مسيح واحد.

٣٦ ـ هو الذى تألم لأجل خلاصنا، وهو الذى نزل إلى الجحيم (الهاوية) وهو الذى قام من بين الأموات فى اليوم الثالث.

٣٧ ـ وهو الذى صعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الله الآب القادر على كل شىء. ومن هناك سوف يأتى ليدين الأحياء والأموات.

٣٨ ـ وعند مجيئه يقوم جميع الناس بأجسادهم، ويؤدون أمامه الحساب عن أعمالهم الخاصة.

٣٩ ـ فالذين عملوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية.

٤٠ ـ هذا هو الإيمان الجامع الشامل الذى لا يستطيع الإنسان أن يخلص دون أن يؤمن به يقيناً.

أهمية القديس أثناسيوس الرسولى(*)

للكنيسة القبطية، كنيسة الأسكندرية

فى اليوم السابع من شهر بشنس وهو اليوم الذى تحتفل به كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بعيد نياحة القديس أثناسيوس الرسولى، ينشد له نشيد باللغة القبطية يقال فى مدح القديس وتمجيده، يمكن أن نترجمه إلى العربية فيما يلى:

أ ـ أيها المدير القوى لدفة السفينة : أيها المقاتل البارع
أيها الظافر فى المعارك : أيها المصباح المنير

ب ـ رائد الأرثوذكسية : هو أثناسيوس الرسولى
ومعلم القطيع : الناطق الذى للمسيح

ج ـ تعاليمك القويمة : نفذت فى قلوب الهراطقة
مثل سيف ذى حدين : بقوة الثالوث

د ـ كل ركبة جثت للرب : وكل لسان سبحه
ومجد الله ذاع : وملأ وجه المسكونة

هـ ـ إننا هكذا نعظمك : مع المرتل داود
فإنك أنت الكاهن إلى الأبد : على طقس ملكى صادق

و ـ السلام للبطريرك العظيم : أبينا القديس الأنبا أثناسيوس
يا من تعاليمه المقدسة : أنارت عقولنا

(*) نشر بمجلة معهد الدراسات القبطية ـ العدد الثانى ـ ١٩٧٥ م ـ ١٦٩١ش.

ز ـ طوباك أنت بالحقيقة : يا أبانا البطريرك القديس
الأنبا أثناسيوس الرسولى : حبيب المسيح

ح ـ أطلب من الرب عنا : يا أبانا القديس الأنبا أثناسيوس
يا حبيب المسيح : لكى يغفر لنا خطايانا

أهمية القديس أثناسيوس وقيمته للكنيسة القبطية فى نقطتين.

أولاً ـ تعليم القديس أثناسيوس

علم القديس أثناسيوس التعليم الصحيح. وكل ما علم به أثناسيوس كان هو تعليم الكنيسة الأصيل. ولازال هو التعليم الأرثوذكسى السليم. ومع أن القديس أثناسيوس كان فى القرن الرابع للميلاد، ولم يكن له مالنا اليوم من مؤلفات وكتب وتراث وتاريخ طويل، إلا أنه استطاع أن يمتص بروحه تعليم المسيح، من التقليد ومن الكتاب المقدس ومن التراث الذى بلغ إليه، وأمكنه أن يفهمه وأن يعيه ويتمثله وأن يعبر عنه التعليم الصحيح فى صيغ وتعبيرات دقيقة كانت أصدق تعبير وأسلم تعبير عن التعليم المسلم من الرسل القديسين.

لقد كان أثناسيوس مُستقبلاً جيدا للروح القدس، وكان آلة سليمة لإستقبال سليم لإيحاءات الروح القدس. وفى هذا كان أثناسيوس شخصية نادرة. فما أقل الأدوات السليمة التى تكون حقا مستقبلاً جيداً لإلهامات الروح القدس وفعاليته. وما أقل الأدوات السليمة التى تستطيع أن تنقل نقلاً صادقاً للآخرين إلهامات الروح القدس وفعالياته، دون أن تتغير أو تتلون أو تتأثر بمؤثر أو أكثر، من المؤثرات التى تفسد صفاءها وتتلف طبيعتها. فمثل النبى أو الرسول أو المعلم كمثل آلة موسيقية ينفخ فيها موسيقار. فإذا لم تكن هذة الآلة مستقبلاً جيدا فلا

تستطيع أن تستقبل استقبالا سليماً، كل النغمات والأنفاس التى يبعثها الموسيقار بفمه أو بيده، ولا تستطيع بالتالى أن تصدر النغمات بالإهتزازات المناسبة كما يريدها الموسيقار مهما كانت عبقرية هذا الموسيقار ومقدرته. كذلك تكون أهمية النبى أو الرسول أو المعلم فى كنيسة المسيح بالنسبة لعمل الروح القدس فيه أو معه...

بل يمكن أن نشبه النبى أو الرسول أو المعلم بريشة الفنان التى يرسم بها على لوحة من الورق أو القماش أو على صفحة حائط أو جدار. كما يمكن أن نشبه النبى أو الرسول أو المعلم بالنسبة للروح القدس، بمثابة الريشة أو القلم الذى يكتب به الكاتب أو الخطاط. فما لم تكن ريشة الفنان أو ريشة الكاتب من نوع جيد مناسب، وكذلك الحبر أو اللون الذى يستخدمه فى عمله... فقد تكون هذه الأداة بسبب عدم جودتها، معطلاً عن أن تقدم للناس فنا أصيلاً جميلاً معبرا تعبيرا صادقا، عن روح فنان مبدع قدير.

كذلك كان أثناسيوس من القلة النادرة من بين البشر، أداة مناسبة وصالحة وجيدة لاستقبال إلهامات الروح القدس وفعالياته، وبالتالى للتعبير عنها للناس بأمانة ودقة وسلامة تامة. لذلك قال عنه بعض القديسين بحق «إذا وجدت كلاماً لأثناسيوس ولم تجد ورقا فاكتبه على ثيابك». وهذا تعبير جميل عن مبلغ الثقة التى أحرزها أثناسيوس فى كل ما علّم به، وكل ما قاله أثناسيوس: كان تعليمه صادقاً وأميناً وسليما ومعبرا عن إلهامات الروح القدس، وتعليم المسيح، وتقليد الكنيسة الجامعة الرسولية. وكأن أثناسيوس امتص تعليم المسيح والكنيسة امتصاصا تاماً، ولم يتلفه بشىء من عنده، فإذا أخرجه أخرجه تعليم المسيح بعينه بغير انحراف... وكأن الكنيسة تقمصت أثناسيوس، واتخذت منه أداة

ولسانا، أى بلغة أخرى كان أثناسيوس لسان الكنيسة الجامعة الرسولية... ومَنْ مِن القديسين إلا قلة نادرة من استطاع أن يحظى بهذه الثقة وهذه الدرجة من الاندماج فى تعليم المسيح والكنيسة!

ومع أننا لا نؤمن أن إنسانا ما، معصوم من الخطأ إلا أننا نؤمن أن الله قد حفظ أثناسيوس برعاية خاصة، فلم يخطأ فى تعليم ما علم به.. ومع أنه كان كما قلنا فى القرن الرابع للميلاد، ولم يكن فى زمانه مؤلفات وكتب كهذه الكتب التى فى زماننا، إلا أنه استطاع أن يعلم وأن يكون معلما معصوما من الخطأ. ولم يتضح فيما بعد إلى اليوم أنه أخطأ فى تعليم أو فى تعبير، فكان بحق شاهدا للمسيح، وكان المسيح له المجد هو العاصم له، لأنه وعد بأن أبواب الجحيم لن تقوى على كنيسته (١) وكنيسته وجدت فى القديس أثناسيوس من يتقمصها ويتكلم بلسانها، ويعبر عن إيمانها وروحانيتها.. فمبارك القديس أثناسيوس الذى كان حارسا أمينا للكنيسة فى زمانه، وحافظا للكرم بأمانة تامة ولم ير فى نفسه غير خادم مخلص لسيده ووكيل أمين له.

ثانيا - روحانية القديس أثناسيوس

وكان أثناسيوس الرسولى قديسا... وكان بالحقيقة رجل الله البار.

كان أثناسيوس شخصية نادرة من شخصيات الآباء القلائل، الذين يصدق عليهم لقب معلم الكنيسة، ومن القلائل الذين يصدق عليهم أنه معلم وقديس معا فى وقت واحد.

---

(١) إنجيل القديس متى ١٦ : ١٨.

أ ـ وعلم أثناسيوس علم فريد من نوعه، ليس من نوع العلم الذى يدرسه الإنسان فى الكتب، ولا من ذلك النوع الذى يحصل عليه من المدارس أو المعلمين ـ مع أن أثناسيوس كان من بين تلاميذ المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية ـ ولكنه كان ذلك العلم الذى قال عنه الرسول يوحنا ـ أنه علم مباشر من الله (١)، وبعبارة أخرى وما نسميه بلغة التصوف «العلم اللدنى» أى العلم الذى هو من لدن الله. والبرهان على ذلك واضح لأنه علم كله حق، وكله صدق، وكله طاهر ومقدس، وليس فيه خطأ أو شر. ولا يمكن أن يكون علما بشريا ذاك العلم الذى كان لأثناسيوس، لأنه لم يكن فيه خطأ أو باطل ثم لأنه كان معبرا، وصادقا فى تعبيره، عن إيمان الكنيسة كلها، وعن تعليم المسيح الحق، وقد تبنت علمه كنيسة المسيح باعتباره التعبير الوحيد الصادق عن إيمانها.. ثم لأنه مع مرور الزمن، وبعد ستة عشر قرنا لم يتغير رأى الكنيسة فى التعليم الذى علم به أثناسيوس، إنه تعليم المسيح والكنيسة. ولو كان علم أثناسيوس من الناس، أو من نفسه.. ما كان يمكن أن يبقى تعليمه ثابتا فى قيمته وصحته مع مرور الأزمنة. فلم يظهر فى تاريخ البشرية عالم أو فيلسوف مهما كانت عبقريته، ومهما كان سابقا فى تفكيره لزمانه أن يعيش تفكيره ستة عشر قرنا كاملا، ويظل كما هو رأى الكنيسة فيه... بل يزداد إلى اليوم توكيد المسيحية لا فى مصر ولا فى سوريا ولا فى بلاد الشرق، أو فى أفريقيا، أو فى أوروبا أو فى آسيا أو فى أمريكا بل فى كل العالم المسيحى، إنه التفكير المسيحى بعينه الذى يجمع المسيحيين على إختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وبلادهم، إنه تعليم المسيح، وإنه الصخرة التى أقام المسيح الرب كنيسته عليها،

---

(١) رسالة القديس يوحنا الاولى ٢ : ٢٧.

وأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها.. بل إن الندوة اللاهوتية التى أقيمت فى فرنسا - وهى من بلاد الغرب - فى سبتمبر سنة ١٩٧٣، والتى حضرها علماء ولاهوتيون وباحثون، ورجال دين من كل بلاد العالم شرقا وغربا، دليل واضح على ذلك، وهم بهذا يحيون التفكير اللاهوتى، الذى قدمه القديس أثناسيوس. وبهذا أيضا يدللون على أن أثناسيوس يجمعهم جميعا كأب كبير لهم جميعا، وكراع صالح يجتمعون تحت عصا رعايته البابوية، على الرغم من اختلاف مذاهبهم اللاهوتية والكنسية «إلى المراعى الخضراء» (١).

هل كان أثناسيوس فيلسوفا؟ هل كان أثناسيوس مفكرا عبقريا؟! إنه شىء آخر... إنه أعظم من فيلسوف، وأعظم من مفكر... إنه كان من طراز الأنبياء والرسل الذين لم يكونوا إلا بوقا صالحا فى يد «الكلمة»، نفخ فيهم بروحه القدوس فنطقوا بما نطقوا به بإلهام الروح القدس، ولم يعوقوا الروح القدس ببشريتهم، فجاء الوحى على أفواههم صافيا من كل دخل، خاليا من كل شغب، معصوما من كل خطأ.. إن عصمة أثناسيوس كعصمة الأنبياء والرسل ليست منهم. إنها من الله. وكانوا هم فى يديه آنية للكرامة لا آنية للهوان...(٢).

لذلك حين نقول عن أثناسيوس أنه كان لاهوتيا، فلاهوت أثناسيوس بهذا المعنى ليس بالمعنى الحديث الذى جرى عليه الاصطلاح فى الوقت الحاضر. لقد صار اللاهوت فى زماننا هو المعرفة العقلية باللاهوت كمحصلة للقراءات، وما يستنبط من القراءات وما يمكن للباحث فى العلوم اللاهوتية أن يتوصل إليه من بحثه العلمى والدراسى. ولكن المعنى الأصيل الذى استخدمت فيه الكلمة

(١) مزمور ٢٢: ٢.

(٢) رسالة القديس بولس إلى رومية ٩: ٢١، رسالته الثانية إلى تيموثيوس ٢: ٢١.

يختلف عن هذا المعنى الذى انتهت إليه فى زماننا، حتى تحول استعمالها، فصارت كلمة ثيولوجى أقرب إلى أيديولوجى، وربما إلى فيلوسوفى (فلسفى). إن هذه الكلمة أطلقت قديما على «القديس يوحنا اللاهوتى» كاتب سفر الرؤيا، فلقد كانت له رؤيا إلهية عاين من خلالها أحداث الكنيسة التى ستجرى فى الوقت القريب والمستقبل البعيد. لقد رأى يوحنا رؤياه وهو فى حالة اختطاف عقلى(١) وانجذاب ذهنى وشخوص فى الله. وفى هذه الحالة الروحانية السامية إذ كان (فى الروح) (٢) أشرق على قلبه نور سماوى فأضاء قلبه وأنار عقله. فالتهب منه القلب واشتعل بالنور المقدس والنار الإلهية نتيجة للتلامس المباشر بينه وبين الله. وبعد ذلك نطق لسانه وكتب قلمه ما رأى وهو فى حالة من الإشراق الباطنى(٣). هنا يمكن أن يقال بحق عن القديس يوحنا أنه لاهوتى θεολογος (ثيئولوغوس) لأنه ينطق بالإلهيات التى رآها وتلامس معها، فصار متمتعا بالرؤيا الطوباوية(٤).

وكذلك قيل عن القديس غريغوريوس النازيانيزى أنه ثيئولوغوس. إن هذا التعبير أُطلق على قلة من آباء الكنيسة، أما اليوم فكل من درس العلوم اللاهوتية وكتب فيها يسمى لاهوتيا. ولكن بمعنى بعيد عن المعنى القديم الأصيل.

---

(١) أعمال الرسل (١٠: ١٠)، (١١، ٥)، (٢٢: ١٧).

(٢) سفر الرؤيا ١: ١٠.

(٣) أعمال الرسل (١٠: ١٠)، (١١: ٥)، (٢٢: ١٧).

(٤) أعمال الرسل (٧: ٥٥)، (٩: ٤ -٦، ١٧)، (٢٢: ٦ - ٨)، (٢٦: ١٣ - ١٨)، رسالة القديس بولس الأولى إلى كورنثوس (٩: ١، ١٥: ٨)، رسالته الثانية إلى كورنثوس (١٢: ١ ٤)، رسالته إلى غلاطية (١: ١٢)، رسالته إلى أفسس (٣: ٣ - ٥).

كان أثناسيوس لاهوتيا، وناطقا باللاهوتيات، لا بالمعنى الحديث المتداول بل بالمعنى القديم الأصيل، المبنى على تلامس مباشر مع الذات الإلهية، وإشراق واضح فى القلب نتيجة لهذا التلامس، لذلك كانت أقوال أثناسيوس فى الإلهيات أقوالا مضيئة بنور من الله أشرق على قلبه فأضاء وأنار، بل احترق فأنار...

٢ ـ وكان أثناسيوس قديسا لأنه عانى فى سبيل الإيمان أهوالا ومتاعب، واجتاز شدائداً وضغوطا عصرته، ولكنها لم تستطع أن تصيب روحه بالجفاف.. فصمد أمامها صمودا عجيبا.

لقد عانى أثناسيوس خصومة عنيفة من عدو قوى، لبق وحاذق وذكى هو أريوس.. كان أريوس فصيحا وبليغا كما كان مراوغا وماكرا. ونزل أريوس بالقضية اللاهوتية إلى الشارع، وصار يبسطها لعامة الناس وللنساء والأطفال، فأتلفها وأفسدها وشوه الرأى الأرثوذكسى بصورة جعلته يبدو للأكثرية من الناس مستحيلا ، محالا لا يقبله العقل ولا يستسيغه المنطق، كما وضع أريوس ثاليات θαλεία من قصائد وأناشيد يحبها الناس، وقد حشاها من آرائه الهراطقية الكفرية، وصار الناس يرددونها لحلاوة أنغامها، غير منتبهين إلى هرطقة تعاليمها.

وزاد على ذلك أن انضم إلى أريوس عدد من الكهنة بل من الأساقفة، ونجح أريوس فى أن يعين أنصاره فى مراكز الكهنوت لكى تصير له الأغلبية المطلوبة. ثم أن أثناسيوس واجه الهراطقة الأريوسية فى زمن كانت الوثنية لا تزال تكوّن الأغلبية الكبرى فى مصر. وكان الوثنيون يجدون فى التفكير الأريوسى ما يريحهم ويتمشى مع منطق فلاسفتهم... بل إن أريوس لم يأت

فى هرطقته بجديد.. أنه تبنى الأفكار الوثنية وصاغها صياغة مسيحية... تبنى النظرية الوثنية فى الاستشراف الإلهى، وفى السلم النازل، وفى أن اللوغوس قد خلق، ليخلق المادة كوسيط بينها وبين الله. وقد تبنى هذه الأفكار الوثنية، وساق نصوص الكتاب المقدس فى تأييدها، مفسرا إياها تفسيرا ملتويا... لم يصنع أريوس جديدا. وهذا هو ما عبر عنه القديس أثناسيوس بقوله إن آراء أريوس آراء وثنية(١).

Ἑλλήνων ἴδια ταῦτα

هذا إلى أن اليهود كانوا يكوّنون فى مصر جالية ضخمة. وكان لهم فيها نفوذ كبير. ومعروف أن بطليموس فيلادليفيوس حاكم مصر فى زمانه أراد أن يكسب ود اليهود بترجمة كتابهم المقدس من العبرية إلى اليونانية، وهى الترجمة التى تمت فى القرن الثالث قبل الميلاد سنة ٢٨٢ ق.م. والتى عرفت بالترجمة السبعينية. وهذا وحده بينة على ما كان لليهود من نفوذ فى مصر.. وكان لابد لليهود فى زمن أثناسيوس وأريوس من أن يكون لهم أثرهم فى توجيه الأحداث وتفسيرها.. ولابد لهم - وهم لا يؤمنون بالمسيح - من أن ينضموا إلى أريوس ضد أثناسيوس، وأن يعملوا على تسفيه الفكر الأثناسيوسى وتصويره بأنه تفكير منحرف ضال ويتعارض مع التوحيد.

كذلك الدولة البيزنطية كانت عاملا هاما فى زيادة متاعب أثناسيوس. فقد انقلب عليه الأمبراطور قسطنطين الأول من صديق لأثناسيوس ومعجب به

---

(١) خطب القديس أثناسيوس ضد الأريوسية. الخطبة الأولى: ١٨، الخطبة الثالثة (١٥، ١٦).

وبسلامة إيمانه وقوة حجته، حتى دعاه «بطل كنيسة الله»، إلى كاره لأثناسيوس وحاقد عليه ومقاوم له، حتى أن أثناسيوس نفى من كرسيه ومن بلده مصر فى زمن قسطنطين وفى عهود الأمبراطرة الذين خلفوه خمس مرات، ذاق فى خلالها تشريدا وتعذيبا. كل هذا ذاقه أثناسيوس حتى صارت كل قوى الشر تضغط عليه بقوة، وتضربه بشدة ضربا متواليا حتى بدا أن العناية الإلهية ذاتها قد تخلت عنه. فكان الأمبراطور الذى يقدره ويحترمه لا يعيش غير بضعة شهور، بينما يطول عهد الأمبراطور الذى يسومه العذاب..

ولهذا فإن لقب Athanasius Contra Mundum «أثناسيوس ضد العالم» ما قالوه عن أثناسيوس عبثا، بل قالوه نظرا لما قاساه أثناسيوس من عزلة شديدة، حتى كادت الأريوسية أن تصبح هي المسيحية، وقد صار أثناسيوس فى نظر الأغلبية هو الهرطوقي والمتمرد والعاق العنيد، والمقاوم للرأى العام المسيحى وغير المسيحى، بينما صار أريوس فى نظرهم بريئا وقديسا... كل هذا عاناه أثناسيوس خمسين سنة متوالية، ستة وأربعين منها قضاها على الكرسى البطريركى الذى لم يستطيع أن يجلس عليه إلا لماما، نظرا لطول مدة نفيه واغترابه وإختفائه.

ما أشد ما عاناه أثناسيوس، وما أعنف ما قاساه.. لو كان أثناسيوس من حديد لذاب، ولو كان من حجر لتفتت... ولكن أثناسيوس لم يذب ولم يتفتت، بل ظل صامدا قويا كالجبل الأشم... أنه كان أقوى من الحديد، وأصلد من الحجر... لقد كان من معدن أعظم وأثمن.. إنها العناية الإلهية التى جعلت من هذا القديس شيئاً أقوى من الحديد وأصلد من الحجر... لقد كان كما دعاه

القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات صخرة، «لأن صخرة الدهور» (١) ربنا يسوع المسيح الضامن والحامى لكنيسته، وقف من ورائه ومعه، وحماه، وظلل عليه ورعاه، وحفظه للكنيسة حاميا وراعيا للإيمان.

٣ ـ وكان أثناسيوس قديسا لأنه فى كل حياته عاش طاهرا عابدا ناسكا روحانيا. ولقد عاش فترة من حياته كراهب، وعاش البقية الباقية من حياته بتولا عفيفا العفة الكاملة، وعابدا زاهدا طاهرا وقديسا نظير الذى قال «كونوا قديسين فإنى أنا قدوس» (٢).

وقد تتلمذ أثناسيوس منذ شبابه المبكر على القديس أنطونيوس كوكب البرية وأب جميع الرهبان، وكان يتحدث عن الشرف الذى ناله بتلمذته له، وبأنه كان يعيش معه ويصب الماء على يديه كإبن، فامتص منه روح الزهد واحتقار أباطيل العالم، وعرف هدوء الصحراء، واختبر الصمت والسكون وحياة «الصلاة بغير انقطاع» (٣). وكان القديس أثناسيوس حتى وهو بطريرك يختلف فى الصحراء ويتردد على معلمه أنطونيوس، كما صار يعيش مع الرهبان كراهب عابد.. وقد كتب فى تلك الأوقات بعض كتبه وأهمها.. وقد ظهر أثر الرهبنة القبطية على حياته وفى بساطة ملابسه، حتى أنه عندما زار روما وتريف فى بلجيكا وغيرها من بلاد الغرب كان الناس، من الإكليروس

---

(١) إشعياء ٢٦: ٢.

(٢) رسالة القديس بطرس الأولى (١ : ١٦)، سفر اللاويين (١١: ٤٤، ٤٥)، (١٩: ٢)، (٢٠: ٢٦).

(٣) رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى (٥ : ١٧) .

والشعب، يتعجبون من بساطة ملابسه، وكانوا يسألونه عن ذلك، فكان يقول لهم أنه أخذه عن أستاذه أنطونيوس.

٤ ـ وقد أثرت هذه الروحانية العميقة فى حياة أثناسيوس وفى موقفه من الأريوسية.. فلم يكن يتكلم بشر على الأريوسيين، ولم يحقد عليهم على الرغم من كل ما صنعوه معه من شر، وما كالوه له من اتهامات... كان يقول على الرغم من ذلك كما جاء فى رده على الأريوسية... أن عدونا الحقيقى ليس هو أريوس والأريوسيين إنما هو الشيطان(١) ... وهذا تعبير من رجل متألم يدل على مبلغ روحانيته، وعلى أن كيد الأريوسيين لم يقو على أن يطرد من قلبه محبته للجميع حتى للأعداء كتعليم معلمه وسيده المسيح الذى قال: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم» (٢).

ولم يتوان أثناسيوس فيما بعد عن أن يقبل فى شركة الكنيسة بعض الأريوسيين والهراطقة عندما أنكروا هرطقتهم، وطلبوا منه أن يقبل توبتهم... على الرغم من أن بعض الأساقفة والشعب كانوا يتوقعون منه أن يرفضهم ويتشدد معهم..

٥ ـ ومن آيات روحانيته، ونتيجة لذلك، كان فيما يعلم به خاصا بتجسد الكلمة، وطبيعة الله، والاتحاد بين اللاهوت والناسوت، يعبر بدقة وأمانة ولكنه أيضا كان يشعر أنه حيث يتحدث عن الله وطبيعته يجب أن يتحدث بحذر

(١) خطب أثناسيوس فى الرد على الأريوسية، خطبة ١: ١٠.

(٢) إنجيل القديس متى (٥: ٤٤).

كبير وشعور كامل بالاتضاع، عن المعرفة وعن الاحاطة بالموضوع وعن التعبير عنه. فكان دائما كقديس يعبر عن سمو الإلهيات عن إحاطة العقل وإدراك الفهم، فكان ومن بعده تلميذه وابنه كيرلس الأسكندرى وغيرهم من تلامذته وتلامذة مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، يصفون التجسد بأنه سر Mystery، وأنه يفوق العقل، ويعلو على الفهم والإدراك والإحاطة، ويند عن التعبير، وما إليها من ألفاظ تنم عن تقوى حقيقية. كذلك فإن التثليث.. سر، والفداء سر..، والاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح.. سر. وكثيرا ما كان يقول فى تعليمه عن التجسد ويصف الاتحاد بين اللاهوت والناسوت بأنه إتحاد «لا يوصف» أو «يفوق الوصف» أو «لا يمكن احرازه»، أو «لا يعبر عنه» أو «لا ينطق به» أو « لا يسبر غوره» أو «أقدس من أن يذكر»..

وهذا الاتجاه عند أثناسيوس وكيرلس ورجال مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، هو غير ما جرى عليه الحال عند تلامذة مدرسة انطاكية اللاهوتية، الذين أخضعوا الإلهيات لمنطق العقل، وكانوا يصنعون التحديدات والمصطلحات، ويرون فيها قوالب لفظية يصبون فيها المعانى الإلهية السمائية... كان أثناسيوس وتلامذة مدرسة الأسكندرية اللاهوتية يتغلبون بالتجربة الروحية، على صعوبة التعبير عن التجسد بألفاظ وتحديدات بشرية تحيط بالمعانى اللاهوتية.

٦ ـ وكان أثناسيوس لروحانيته يسرح بعقله ويتأمل بقلبه طبيعة الله، وسر التجسد، وسر الفداء، وسر التثليث، وما فى كل ذلك من أسرار.. ويعبر عن تقواه بتعبيرات روحانية تعبدية.. فكانت أقوال أثناسيوس وكتاباته ليست مجرد

أبحاث لاهوتية عقلية منطقية، وليست مجرد جدل لاهوتى، يدخل به فى خضم الخصومة الفكرية.. وإنما فرصة لتأملات روحانية متصوفة تدل على عمق وعلى إلتهاب قلبه بالمحبة الإلهية...

ولذلك فإن أقوال أثناسيوس وكتابات أثناسيوس تتميز بالإلهيات المصحوبة بالروحانيات والتقويات... فتقرأ فى كتاباته اللاهوتية الجدلية ما يغذى روحك وينعش نفسك ويريح قلبك، ويثير فيك مشاعر التقوى والتعبد... تأمل مثلا كلامه عن الفداء.. وعن صلب المسيح.. وغيرها من قضايا لاهوتية تجد فيها تأملات تقوية وتعبدية كثيرة وعميقة، لا يقوى عليها غير العُبَّاد والزهَّاد والنساك، والمتحدين بالله.

وبالإجمال فإن أثناسيوس كان معلما متميزا بالأمانة والصدق والدقة، وكان قديسا متميزا عقله وقلبه بالروحانية العالية... وهذا يفسر لنا معنى آلام أثناسيوس، فإنها ليست من هذه الآلام العادية التى يعانيها العاديون من الناس، بل هى آلام من طراز خاص يظهر فيها إهتمام الشيطان به واشتكاؤه عليه وحربه معه حربا بغير هوادة... هى هذه الآلام التى صهرته وزادته طهارة ونقاء وتحولت جراحاته إلى لآلىء زينت إكليله.

إن أثناسيوس لم يمت شهيدا كما مات الشهيد اسطفانوس، والقديس يعقوب أو بطرس أو بولس أو مارجرجس وغيرهم من الشهداء... ولكنه عاش فى كل يوم شهيدا للمسيح.

إن حياة أثناسيوس هى حياة شهادة مستمرة.. وحتى وقد رحل إلى العالم الآخر، فلا زال يشهد للمسيح بحياته وكتاباته التى صارت للكنيسة كلها دستورا، وقدوة، ونبراسا، وتعليما، ومنهجا، وكتابا، فهو كما يقول القديس بولس «وإن مات فإنه لم يزل يتكلم»(١)

(١) رسالة القديس بولس إلى العبرانيين ١١: ٤.

شجاعة القديس أثناسيوس الرسولى(*)

نحن اليوم نمجد القديس أثناسيوس ونحييه ونفتخر به، ونقول أنه حامى الإيمان، والعالم كله معنا فى هذا الإكرام، العالم كله ينحنى احتراما وإجلالا لهذا الرجل، الذى يعتبر بحق مؤسس المسيحية الثانى. بعد السيد المسيح، أن المسيحية كادت أن تنتهى لولا أثناسيوس.

البدعة الأريوسية:

البدعة الأريوسية كانت بدعة دقيقة وصاحبتها ظروف جعلت هذه البدعة تنتشر، وأيدتها عوامل إجتماعية وسياسية جعلتها تكاد تبتلع المسيحية نهائيا، وانضم إلى هذه البدعة الأريوسية كثيرون من الشعب، وأيضا من الكهنة والأساقفة، وانضم رجال الدولة وانضم آخرون من غير المسيحيين إلى هذه البدعة وأصبحت الحركة حركة ضخمة واسعة كبيرة شملت قطاعات واسعة، لا فى مصر وحدها بل فى العالم بأثره، وبالإيجاز كادت المسيحية أن تنتهى. المسيحية على صورة الصفاء التى أرادها السيد المسيح، التعليم الذى علم به السيد المسيح، هذا التعليم كاد أن ينتهى، لم يكن الشعب فى ذلك الوقت من القدرة على الإيغال فى الموضوعات اللاهوتية بحيث يستطيع أن يفهم الفرق بين تعليم أثناسيوس وتعاليم أريوس، وهذا هو وجه الخطر فى الموضوع، لذلك كان أثناسيوس هو الرجل الوحيد الذى اعتبر معارضا واعتبر عنيدا. وقيل أنه الرأس الوحيد الذى لو انحنى لحلت المشكلة، وبالطبع حل المشكلة على حساب

(*) محاضرة ألقيت لأسرة القديس أثناسيوس الزراعية - بكنيسة الشهيد جاورجيوس بشبرا مصر - مساء الخميس ١٢ مايو ١٩٧٧م - ٤ بشنس ١٦٩٣ش.

أرثوذكسية التعليم. حل المشكلة بإختفاء أثناسيوس كان معناه سيادة الأريوسية وإنتهاء المسيحية الأرثوذكسية، لذلك سمى «أثناسيوس الذى يعارض العالم» وهذا ترجمة النص اللاتينى، لأن هذه المسألة لم تكن تخص العالم الشرقى فقط، بل العالم الغربى أيضاً، لأن مجال العمل للقديس أثناسيوس امتد من الشرق إلى الغرب أيضا، فأصبح موضوع القضية التى يدافع عنها أثناسيوس ليست قضية خاصة بالشرق أو بمصر، وإنما كانت للمسيحية كلها فى الشرق وفى الغرب، فسموه «أثناسيوس الذى يعارض العالم»

صمود القديس أثناسيوس وشجاعته:

هذا الكلام نمر عليه اليوم بسهولة، ونقول هذا الكلام من فوق المنابر وبحماس، ولكن من الصعب علينا اليوم أن ندرك تماما الثمن الغالى لهذا الموقف الذى اتخذه أثناسيوس، اليوم نأخذ الجانب السار من الموضوع بعد الإنتصار، اليوم نذكر أثناسيوس بالتحية والاحترام بعد أن انتصر. لكن أريدكم أن ترجعوا لأفكاركم إلى الظروف القاسية التى كان يعيشها الرجل فى ذلك الوقت، لو كنت أنت فى هذا الموقف هل كنت تقدر أن تتحمل هذا كله، هل تتحمل أن تكون فى موقف يعارضك فيه الناس جميعا، حتى رجال الدين ورجال الحكم، تبحث عن أحد معك فلا تجد، وكل يوم تخسر أكثر وأكثر وأكثر حتى تصل المسألة أنك تجد نفسك تعيش بمفردك، ما أقسى هذا الوضع، ارجعوا للوراء وحاولوا أن تعيشوا فى الظروف التى عاشها أثناسيوس. من منا لو كان فى مثل هذا الموقف، من منا كان يقدر أن يصمد؟، من كان يصمد؟ لا يوم أو إثنين أو سنة أو سنتين.. لكن خمسين سنة، لو كنت أنت فى هذا الموقف

هل يكون عندك هذا الصمود؟ هل يكون عندك هذا الجلد؟، هل يكون عندك هذا الإصرار؟، هذا هو الموقف الصعب. كيف تعيش بين الناس، كيف تتحمل النقد والإنتقاد، والشتائم والإهانات والسباب، وظروف الاضطهاد والنفى والتشريد، حتى القوة المدنية، قوة الدولة كلها التى تجندت لمحاربة أثناسيوس لأن الدولة يهمها صالح الأمن، وعندما تكون الأغلبية ضد واحد فمحصلة الأمن تقتضى أن تكون الدولة فى نصرة الأغلبية ضد الأقلية. خاصة إذا كان الأقلية واحد، ولو اختفت رأس هذا الإنسان استراح العالم. تصور هذا الموقف وصعوبته، تصور كل هذا.

فاليوم عندما نفتخر بأثناسيوس ونمدح أثناسيوس، نمدحه بعد أن انتصر، بعد هذا التعب كله... بعد أن أصبح العالم يقدر موقفه ويقتنع بصحة معتقده، إنما كيف عاش أثناسيوس هذه الخمسين سنة فى هذه الآلام المرة، وهذه المتاعب الجمة، وهذه المقاومات والمعارضات. لابد أن أثناسيوس كان يحارب حتى نفسيا. ربما كان يحاربه الفكر يقول له أنت عملت انقسام فى الكنيسة، أنت عملت عثرة، أثناسيوس عمل انقسام فى الكنيسة، وكل الناس كانوا يقولوا هذا الإنسان ضد المسيح لأنه خلق انقسام، كان مفروض أن يكون رجل سلام، ولا يكون سبب انقسام ومتاعب ومضايقات ويخلق عثرات ويجعل الناس تخطىء لأنها تضطر أن تشتم عليه، والناس تخطىء فى اشتراكها فى الحروب المختلفة والمضايقات والمتاعب. أخطاء من رجال الحكم وأخطاء من الشعب، وأخطاء من الكهنة وأخطاء من الأساقفة وأخطاء من كل حد... كل هذا مسئول عنه أثناسيوس لأنه سبب كل هذا، ولو أنه كان ركع وانحنى، لو كان أخفى

رأسه كانت تخلصت الكنيسة من كل هذه المتاعب ولكن على حساب صحة الإيمان.

الذين يبحثون على السلام الرخيص، الذين يفهمون السلام بمعنى الإستسلام، الذين يفهمون السلام بمعنى التساهل، هؤلاء هم الذين فى كل عصر وفى كل زمان يلومون أصحاب المبادىء القويمة التى يترتب عليها انقسام الناس، أو يترتب عليها إحداث قلاقل وافتراق فى الرأى. هل هذه هى المسيحية التى يكرز بها هؤلاء، الذين يدعون إلى هذا السلام الرخيص أو هذا الإستسلام. ليست هذه هى مسيحية المسيح، لأن المسيح يقول «لا تظنوا أنى جئت إلى الأرض لألقى سلاما بل سيفا، بل إنقسام، جئت لأفرق الأب ضد ابنه... ولأفرق الحماة ضد كنتها وأعداء الإنسان أهل بيته»(١). معنى هذا الكلام أن مبادىء المسيح، من شأنها أن ينقسم الناس بإزائها قسمين، قسم يقبلها وقسم يرفضها، ولابد أن تقوم حرب بين من يقبلها ومن يرفضها. هذه هى حرب المبادىء، حرب الأفكار، حرب المواقف التى جاء المسيح ليخلقها ويثيرها ويزرعها فى الأرض. المسيح رب السلام جاء ليخلق هذا الإنقسام وليجعل فارق بين النور والظلمة، وبين الحق والباطل، وبين الخير والشر، ولابد أن تقوم حرب سجال بين أتباع الحق وأتباع الباطل، هذا النوع من الحرب مطلوب عند المسيح، لأنه لو خمدت هذه الحرب معناه أن الكنيسة بمبادئها قد ماتت. جسم الإنسان عندما يكون محموما، معنى الحمى أن هناك حرب بين الميكروبات الغريبة التى دخلت إلى جسم الإنسان، وبين الكرات البيضاء التى فى الدم، التى مهمتها أن تحارب الأجسام الغريبة. طالما أن هناك حمى معناه أن هذا الإنسان لازال حى، وحياته تجعل كراته البيضاء

(١) مت ١٠: ٣٤ - ٣٦.

تنضوى لمحاربة الميكروبات الدخيلة على جسم الإنسان، لو خمدت هذه الحرب وأحيانا تخمد الحرب، ويصاب الإنسان ببرودة، وتكون هذه البرودة هى برودة الموت. إنما الحمى دليل الحياة، أنه لازال الجسم حى ولازال هناك حرارة، لازال هناك مقاومة للميكروبات الضارة بجسمه، فإذا ظن بعض الناس أنه لكى يخمد الحمى يجب أن يقتل الكرات البيضاء، فيجعل الميكروبات تلتهم الكرات البيضاء وحينئذ تنتهى الحرب، وإذا انتهت الحرب يصاب الجسم بالبرودة وإذا أصيب بالبرودة فقد أصيب بالموت. لو توقفت الكنيسة عن حرب المبادىء لكان معناه أن الكنيسة ماتت وأن رسالتها قد انتهت. إنما بقاء الحرب دليل على أن الكنيسة حية والحرب علامة حياة وعلامة صحة.

أقول هذا الكلام لأن بعض الناس من المسيحيين يفهمون المسألة خطأ ويفهمون رسالة السلام بمعنى الإستسلام، لا يرضون بمواقف القوة، ولا يرضون بمواقف إبراز الحق لأنه يعثره، ويظنون أن هذه عثرة فى الكنيسة أن تكون هناك مواقف الصحة ومواقف البطولة. لو كانت هذه هى مبادىء المسيح لما قال الكتاب عن المسيح أنه صار عثرة، المسيح صار عثرة لليهود وجهالة للأمم. المسيح صار عثرة لأنه ترتب على عمل المسيح أن اليهود كرهوه، وهذه الكراهية قادتهم إلى أخطاء وإلى جرائم، فلولا المسيح لما كانوا سقطوا فى هذه الجرائم الواضحة. إذن المسيح كان عثرة لليهود وكان جهالة للأمم. هل معنى هذا أن المسيح من أجل أن لا يكون عثرة بهذا المعنى، يتوقف عن رسالته فلماذا إذن جاء؟ جاء المسيح ليبذر بذرة وهذه البذرة لابد أن تجد مقاومة، وهذه المقاومة تخلق هذا الجو من الإنقسام والتغير، وهذه

الحرب هى حرب المبادىء. إذا كانت المسيحية ديانة السلام بمعنى الإستسلام فلماذا كان الإستشهاد؟، لماذا كان أبطال الإيمان يتحملون كل عذاب؟ لماذا كانت هذه الأخطاء على مجرى التاريخ؟ مادامت المسألة أن نحب السلام بهذا المعنى الرخيص لماذا كان الإستشهاد؟ هنا يصبح الإستشهاد حماقة فى نظر البعض، عدم حكمة فى نظر البعض، اندفاع فى نظر البعض، سبب للإنقسام فى نظر البعض. ولكن المسيحية باستمرار عاشت مضطهدة، وهذا الإضطهاد وإن كان حسب الظاهر أضرها لأنه حرمها من أعضاءها، سواء بالموت أو الذين انسلخوا عنها بسبب الإضطهاد. الناس حسب الظاهر يعتقدون أن الإضطهاد أضر الكنيسة لأنه صفاها، طرد بعض من أعضاءها ممن خرجوا عن الإيمان خوفا من الإضطهاد. ولكن على العكس مما يظنه بعض الناس، رأينا الإضطهاد كان بذار للإيمان، والإضطهاد هو الذى طهر الكنيسة من الأوراق الصفراء الضعيفة والواهنة التى سقطت. ونبتت بدلا منها براعم خضراء جميلة. الكنيسة لم تمت بالإضطهاد إنما عاشت بالإضطهاد، طالما الكنيسة تعيش بسياسة سيدها فتعيش فيها حرارة الإيمان، وهذه الحرارة لازمة لبقائها ولوجودها، إنما لو أنها فى سبيل ومن أجل أن تتجنب الإضطهاد تستسلم للواقع من أجل هذا النوع من السلام الرخيص، لأصاب الكنيسة برودة الموت وانتهت رسالتها إلى الأبد.

أيها الأخوة والأبناء نحن اليوم نمدح أثناسيوس، لكن أؤكد لكم أنه لو عاش أثناسيوس اليوم لأنصرف أكثركم بعيدا عن أثناسيوس، لاتهمتموه بالغباوة وبالحماقة، لقال أكثر المسيحيين هذا الرجل عنيد سبب لنا متاعب، هؤلاء

يهمهم سلام الكنيسة ولو على حساب المبادىء، وهذا يدلكم على أن روح غبية، روحا ليست من روح آبائنا الشهداء قد تسربت إلى شعبنا، ودخل الموت ودخل الضعف ودخلت الإستكانة. أصبحنا طبول يهزها الهواء، بينما كان آباؤنا أبطال صناديد يقفون أمام المتاعب كالجبل الأشم لا يلين ولا يتحرك، وكان يقال عن آبائنا (أن تحريك جبل عن موضعه أيسر من تحريك قبطى عن موضعه). كانت روح البسالة وروح الشجاعة وروح الإستمساك والإرتباط بالمبدأ، كانت هذه رائدة شعبنا ومن خصائصنا المحافظة كقول المسيح له المجد «الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجىء» (١). أما التساهل فصار فى شعبنا اليوم موجة وموضة، ويظن هذا المتساهل أنه مسيحى وأن هذا هو السلام. ليس هذا سلام بل إنه الإستسلام، إنه برودة الموت، إن السيد المسيح فى بعض المواقف رأى بعض من تلاميذه تراجعوا إلى الوراء، فنظر إلى الباقين منهم وقال لهم «هل أنتم تريدون أن تمضوا أيضا» (٢) .. تريدون أن تمضوا امضوا.. لا يرضى المسيح أبدا بهذا النوع من السلام ولا بهذا التراجع أو التقهقر عن المبادىء، وإنما المسيح يقول «الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجىء» (٣) «كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة» (٤). ما معنى الأمانة؟ ما معنى الأمانة والأمانة إلى الموت؟ ما هو معناها؟ ... إذا كان منهجنا منهج الإستسلام، منهج السلام الرخيص على حساب المبادىء، هذه خيانة لديانتنا، خيانة لمسيحنا، خيانة لأرثوذكسيتنا. هذه أمور ينبغى أن تصحح، هذه ثورة التصحيح التى نادى بها أثناسيوس، أن يقف الإنسان عند مبدئه، ولو وقف

---

(١) رؤ٢: ٢٥.
(٢) يو٦: ٦٧.
(٣) رؤ٢: ٢٥.
(٤) رؤ٢: ١٠.

لوحده وحيدا، ولو وقف العالم كله ضده، قالوا له فعلا أنت واقف لوحدك العالم كله ضدك، قال «وأنا بنعمة إلهنا ضد العالم». مثل ما قال الرسول «حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صلب العالم لى وأنا للعالم» (١) الصليب خشبتان متعارضتان واحدة أفقية وواحدة رأسية، لا يمكن أن يكونا متوازيين، لا يوجد أبدا إلتقاء إلا فى التعامد والتعارض، هذه أفقية وهذه رأسية لا يوجد إلتقاء إلا على أساس التعامل والتعارض.

رسالة الكنيسة دائما ضد العالم:

الكنيسة دائماً رسالتها ضد العالم، ويوم أن تتعاقد الكنيسة مع العالم وتكون هدنه بين الكنيسة والعالم، يكون الماء قد دخل إلى السفينة ويغرقها، تضيع الكنيسة وتضيع رسالتها. الكنيسة آتية من فوق، الكنيسة شجرة جذعها فى السماء وفروعها فى الأرض. «أنا أخذتكم من العالم، أنتم لستم من العالم وإن كنت أخذتكم من العالم» (٢) عن العالم انفصلتم، أنتم سفارة والسفارة لا تنتمى إلى البلد التى هى فيها، إنما تنتمى إلى البلد التى هى منها. فالكنيسة لا تنتمى إلى العالم تنتمى إلى السماء، لأنها سفارة السماء على الأرض، ملكوت السموات على الأرض، لأن المسيح جاء من فوق ليزرعها.

اليوم فكروا معى فى هذا الجانب، نحن اليوم نفتخر بأثناسيوس ونمدح أثناسيوس ونشكر أثناسيوس ونقول أننا أولاد أثناسيوس، ولكن عيشوا ولو فكريا فى الجو الذى عاش فيه أثناسيوس.

---

(١) غل ٦: ١٤.

(٢) يو ١٥ : ١٩.

أثناسيوس دافع عن لاهوت المسيح، ودافع عن أزلية المسيح وأن المسيح موجود قبل أن يولد من العذراء مريم، موجود منذ الأزل، كان ولم يزل إله. المسيح لم يبدأ من مريم، قبل أن يولد من مريم وقبل أن يتجسد كان المسيح موجودا، قال «أنا الخبز الحّى الذى نزل من السماء» (١). حتى أن اليهود قالوا «أليس هذا ابن النجار الذى نحن نعرف أباه وأمه وأخوته، كيف يقول هذا أنى أنا نزلت من السماء» (٢). ومرة ثانية يقول لهم «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح» (٣) قالوا له أنت لم تصل بعد ٥٠ سنة كيف رآك ابراهيم، قال لهم «الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (٤) وعندما قال «أنا والآب واحد» (٥) قاموا ورفعوا الحجارة لكى يرجموه لأنه قال أن الله أبوه معادلا نفسه بالله.

أثناسيوس وأزلية السيد المسيح:

أثناسيوس دافع عن أزلية المسيح، أريوس قال الكلام الذى يقوله بعض الناس الآن من غير المسيحيين قال: كيف يكون المسيح إبن الله؟! هل الله يلد؟ الله لم يلد ولم يولد، كيف يقولوا عن الله أنه يلد، وكيف يكون المسيح إبن الله، المسيح أبوه يوسف وأمه مريم هذا كلام أريوس، استبعد أريوس كلام الكتاب المقدس عن المسيح أنه ابن الله، لأنه يرى أن الولادة تقتضى الزواج وتقتضى اللحم والدم، وتقتضى أن الله يلد وحاشا لله أن يلد، إذن هذا الكلام خطأ، هذا ما يقوله كل المؤمنين فى كل عصر من العصور، ذلك لأنه لم يفهم معنى كلمة

---

(١) يو٦ : ٤١ . (٢) يو٦ : ٤٢ . (٣) يو٨ : ٥٦.

(٤) يو٨ : ٥٨. (٥) يو١٧ : ٢٢.

«ابن الله» فالله لا يلد كما يلد الإنسان وكما يلد الحيوان حاشا لله، إنما مثل ما قاله أثناسيوس الرسولى ووضع فى قانون الإيمان (نور من نور) أى أنها ليست ولادة جسدية وليست ولادة تقتضى الرجل والمرأة والذكر والأنثى، حاشا أن يكون المسيح ابن الله بهذا المعنى. إنما لأن الله وهو غير منظور صار منظورا فى المسيح، فالمسيح هو الصورة المنظورة لله غير المنظور أو للاهوت غير المنظور. اللاهوت لا يقدر أن يراه أحد لأن الله لايرى. ومثل ما قال الله «لا يقدر أحد أن يرانى ويعيش»(١) من يقدر أن يحملق فى بهاء الله ونوره ومجده، إذا كنا لا نستطيع أن ننظر فى الشمس وهى على بعد ٩٣ مليون ميل، من يقدر أن يحملق فى الشمس؟ تحرق شبكية العين إذن من منا يقدر أن يحملق فى ربنا نفسه. على جبل التجلى التلاميذ أصبحت عيونهم ثقيلة وغير قادرين أن يرفعوا عيونهم من بهاء التجلى، وفى الرؤيا التى رآها يوحنا الرائى، يقول أنه رأى وجهه يضىء كالشمس وهى فى قوتها، يقول «سقط عند رجلية كميت»(٢) فكيف يمكن للإنسان أن يرى الله وجها لوجه، مالم يحجب الله ذاته فى جسد، مثل من يشتغلوا فى المغنسيوم يضع نظارة على عينيه لتغطيها وإلا عينيه تضيع، فالله لكى يصير منظورا لابد أن يحتجب، فاحتجب الله فى الجسد، استتر فى جسد، لبس جسد، اتخذ جسد. إذن ما هى العلاقة مابين الكائن الذى له منظر وله كيان جسمانى بالنسبة للاهوت غير المنظور. لا يوجد فى لغة البشر إلا كلمة الإبن، لا يوجد فى لغة الإنسان تعبير أصدق على بيان المطابقة بين واحد منظور وواحد ثان غير منظور إلا كلمة ابن، فكلمة إبن

(١) خر ٣٣ : ١٩.   (٢) رؤ ١ : ١٧.

إستعارة لفظ من لغة البشر ليعبر الله به عن العلاقة بين هذا الكائن المنظور وهو المسيح. وبين اللاهوت غير المنظور الذى لا يراه إنسان. ولذلك الله غير المنظور صار منظورا، وهذا المنظور يقول أنه إبن الله بمعنى أننا نرى فيه الله غير المنظور. وليس بمعنى أن الله يلد مثل مايلد الإنسان، ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب.. حاشا أن تكون الولادة بهذا المعنى، والسيد المسيح قال هذا عندما سأله فيلبس «أرنا الآب وكفانا»(١) قال له «أنا معكم زمان هذا مدته ولم تعرفنى يا فيلبس»(٢). فيلبس يسأل عن الآب والمسيح يقول «أنا معكم زمان هذا مدته ولم تعرفنى، الذى رآنى فقد رأى الآب»(٣). إذن الآب غير منظور لكن الذى يرانى أنا يرى الآب، فيصير المسيح هو صورة الله غير المنظور. الله غير المنظور له صورة منظورة. فالمسيح هو الصورة المنظورة للاهوت غير المنظور. ولأجل أن يجعل نفسه منظورا لابد أن يحتجب فى جسد.

معنى كلمة الابن؟

فكلمة إبن هنا لا بمعنى أن الله ولد مثل أبونا ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب، لأنه عندما نقول ابراهيم ولد اسحق، فيكون اسحق أصغر من ابراهيم لأنه إبنه جاء بعده فى الزمان، متأخر عنه فى الزمان، فيصير ابراهيم أكبر من إبنه. لكن لا نستطيع أن نقول أن الآب أكبر من الابن فى الثالوث، لا نقدر أن نقول الآب السماوى أقدم من الابن، أقدم من المسيح، لأنه كما قال أثناسيوس الرسولى: لا نستطيع أن نتصور لحظة من الزمان كان فيها الآب ولم

---

(٣) يو ١٤ : ٨. (٤) يو ١٤ : ٩. (٣) يو ١٤ : ٩.

يكن فيها المسيح أو الإبن، الآب والابن معا منذ الأزل، لأن الإبن هو حكمة الله والعقل الإلهى فكيف نتصور الله كان لحظة واحدة بدون عقل، لأن اقنوم الإبن هو اقنوم العقل الإلهى، الله كله عقل فلا نستطيع أن نتصور الله لحظة واحدة من الزمان من دون أن يكون عاقلا. إذن الإبن مع الآب منذ الأزل ومع الروح القدس. هذه ثلاثة أقانيم وليست ثلاثة آلهة، هى ثلاث خصائص فى الذات الإلهية. لم تمر لحظة من الزمان كان خصائص الذات الالهية إثنين أو واحد، إنما هذه الخصائص الثلاثة معا منذ الأزل وإلى الأبد. نقول ثلاثة أقانيم وليس ثلاثة آلهة، ثلاث أقانيم وليس ثلاث جواهر بل «جوهر واحد» الإبن والروح القدس مع الآب جوهر واحد، «أنا والآب واحد» (واحد مع الآب فى الجوهر). إذن الجوهر واحد، والآب والإبن والروح القدس ثلاثة خصائص فى الذات الإلهية الواحدة. إذن الثلاثة أقانيم ليست ثلاثة آلهة ولا ثلاث جواهر. بل ثلاثة خصائص فى الذات الإلهية الواحدة. لا نقدر أن نتصور لحظة من الزمان كان فيها الآب ولم يكن الإبن أو المسيح قائماً معه. المسيح إذن هو الله متجسدا، هو الله متأنسا، هو الله وقد لبس صورة الإنسان، هو الله وقد احتجب فى الإنسان، هو الله وقد استتر فى الإنسان، وهذا هو الكلام الذى قاله المسيح نفسه «الله لم يره أحد قط الابن الذى فى الآب هو خبّر» (١) أى الذى هو فى ذات الآب وفى جوهر الآب وفى صميم الآب وفى كيان الآب وفى أعماق الآب. الله لم يره أحد قط الابن الذى فى حضن أى فى ذات الآب هو خبر.

إذن الإبن أخذ صورة الإنسان وصار منظورا، لأن الله غير منظور بطبيعته، احتجب فى جسم فصار منظورا، فالمسيح ابن الله بهذا المعنى. إنما

---

(١) يو ١ : ١٨.

ليس بمعنى الولادة كما فى عالم الإنسان أو فى عالم الحيوان، ولذلك نقول فى قانون الإيمان نور من نور، إله حق من إله حق.

لا توجد أسبقية، فالآب ليس أسبق من الابن، هذه تعبيرات فى لغة الإنسان الآب والابن والروح القدس هذه تعبيرات، أما الله فى جوهر طبيعته صعب على الإنسان أن يدخل فى أعماق هذه الطبيعة الإلهية، فالله فى ذاته غير منظور أو غير ممكن للإنسان أن يراه، وقال هذا لموسى النبى: «لا يقدر إنسان يرانى ويعيش»(١) ولما ألح عليه وعده بأن يريه بعض من البهاء فقط لأنه لا يستطيع أن يرى الله، فوضعه فى حفرة حتى لا يحرق من البهاء، ومر ببهائه، ماهو البهاء؟ الشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميل، ورغم ذلك لا تستطيع أن تنظر إليها، فالضوء والبهاء والأشعة التى تصل إلينا لا تستطيع أن تنظر إليها رغم هذه المسافة البعيدة، فالله وضعه فى هذه الحفرة وهو بعيد ملايين الملايين.. من الأميال، وشىء من البهاء وقع على موسى وهو على هذا البعد وفى هذه الحفرة فصار وجه موسى يلمع كل أيام حياته، لدرجة أن موسى عندما نزل من على الجبل ليكلم بنى إسرائيل، فلم يستطيعوا أن ينظروا إلى وجهه فوضع برقعا على وجهه، وكان كلما يكلم الشعب يضع البرقع ولما يصعد فوق الجبل يرفع البرقع، وظل وجه موسى يلمع كل أيام حياته حتى موته.

---

(١) خر ٣٣ : ١٩.

فالله وهو غير منظور كيف يقدر أن ينزل على الأرض؟ إذا كانت الشمس لو اقتربت تحرق الأرض، إذن كيف ينزل الله نفسه على الأرض؟ والكتاب قال «إلهنا نار آكلة»(١) لذلك الله لكى يكون منظور لابد أن يستتر فى جسد، لابد أن يحتجب فى جسد، لكن على جبل التجلى سمح ببعض من البهاء، لكن فى سفر الرؤيا لابد أنه كان هناك نصيب أكبر من البهاء الذى كان على جبل التجلى، لأن يوحنا كان موجودا على جبل التجلى ومع ذلك لم يقل «أنا سقطت عند رجليه كميت»(٢). كما قال فى سفر الرؤيا مما يدل على أن البهاء الذى رآه كان أعظم كثيرا جدا مما ظهر من بهاء المسيح على جبل التجلى.

هذه هى القضية التى كان أثناسيوس الرسولى يدافع عنها، وهى الوجود الأزلى، أن المسيح قبل أن يولد من العذراء وقبل أن يتجسد، كان موجودا ومثل ما قال هو نفسه «أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء»(٣) وقال مرة ثانية «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (٤) أى وهو على الأرض هو فى السماء ببهائه ونوره ومجده. إنما على الأرض كان يلبس جسد. فالعلاقة بين هذا المنظور وغير المنظور هى التى عبر عنها الكتاب أنه من رآنى فقد رأى غير المنظور. هذا معنى صورة الله غير المنظور، أن الله فى ذاته غير منظور والمسيح هو الصورة المنظورة

---

(١) تث ٤ : ٢٤.
(٢) رؤ ١ : ١٧.
(٣) يو ٦ : ٤١.
(٤) يو ٣ : ١٣.

لله غير المنظور. هذه هى القضية التى كانت واضحة فى ذهن أثناسيوس، وهو يشرح الإيمان المسيحى ضد التعليم الهرطوقى الخاطىء الضال الذى علم به أريوس، الذى كان يقول أن المسيح مخلوق ولذلك قانون الإيمان قال «مولود غير مخلوق» إنما أريوس كان يقول عن المسيح أنه مخلوق. وكانت المسيحية فى ذلك الوقت فى أوائلها، وكان هذا الموضوع صعب أن يشرح بالطريقة التى يفهمها الناس مثل اليوم، ولذلك كان أريوس عندما يتكلم كان الناس يقبلوا كلامه لأنه كلام سهل.

كسب أريوس العالم كله ضد أثناسيوس:

كان أريوس من المكر ومن الدهاء بحيث نزل بالمشكلة اللاهوتية من هذا المستوى الراقى، إلى مستوى رجل الشارع إلى إنسان الشارع، وأخذ يكلم الناس العوام ويسأله «أنت أكبر أم أبوك» كان يبسط الموضوع لرجل الشارع وكان يكلم الأطفال، وهذا ما قاله أثناسيوس فى كتاباته أن أريوس نزل إلى الشارع وإلى الأسواق يكلم الأطفال ويقول له أنت أكبر أم أبوك؟ فيقول طبعا أبى، وبهذه الطريقة كان يفهم الناس والنساء والأطفال والعوام أن كلام أثناسيوس كلام غير معقول وأن أثناسيوس مخطىء. كذلك كسب أريوس الجالية اليهودية الكبيرة التى كانت موجودة فى مصر، ولأن اليهود ضد المسيح والمسيحية انضموا لأريوس، هذا إلى جانب أنه فى أوائل القرن الرابع للميلاد كانت نسبة ضخمة جدا من الوثنيين موجودين. فلما تكلم مع الوثنيين وجدوا أن كلام أريوس معقول. وبذلك أصبح مع أريوس الشعب والعوام واليهود والوثنيين،

وعمل أريوس قصائد شعرية كان يسموها (الثاليات) وهى مقاربة للمواويل والأغانى الشعبية وقد حشاها بالأفكار الأريوسية الهرطقية ضد لاهوت المسيح، وأصبح الناس يرددوا هذه الأغانى. وإلى جانب كل ذلك كسب الدولة إلى جانبه، الدولة كانت تحت الحكومة الرومانية البيزنطية والدولة رأت أن هناك حرب وإنقسام بين الناس، ولكن أريوس كان يدخل الشوارع والأندية والمجتمعات، ويعمل مظاهرات، فأصبح معه أغلبية الشعب ولكى تحفظ الدولة الأمن انضمت إلى صف الأغلبية واعتبرت أثناسيوس مشاغب لأنه أصبح معظم الشعب والوثنيين واليهود ضده فتحركت الدولة إلى جانب أريوس وعن طريق نفوذ أريوس استطاع أن يعين بعض من الكهنة والأساقفة من أتباعه، وبهذه الطريقة أخذ يكسب أعداد عديدة من الناس. الملك قسطنطين الذى يوصف فى الكتب بأنه الملك البار، عندما كان أثناسيوس فى مجتمع نيقية، وكان مازال شماسا، أعجب قسطنطين جدا ببطولته عندما شاهد دفاعه ورأى حرارته فى الإيمان، وكانت المشكلة الأريوسية فى الأوائل فقسطنطين أعجب بأثناسيوس وشد على يده وقال له: (أنت بطل كنيسة الله) هذا البطل فى نظر قسطنطين عندما أصبح فيما بعد بطريرك وازدادت المشكلة تعقيدا صار قسطنطين ضد أثناسيوس ونفاه هو وأولاده، خمس مرات نفى أثناسيوس بعيدا عن كرسيه. وكانت الجند والعساكر تطارده من مكان إلى مكان، والمظاهرات والأريوسيين يتجمعون حوله، وزاد على ذلك أن أريوس بدأ يوغر قلب قسطنطين الأمبراطور ضد أثناسيوس، ويقول له هذا رجل فرعون، ورجل

متكبر ومتغطرس، لا يعمل لك حساب ويمنع القمح أن يذهب العاصمة الرومانية لأن العاصمة الرومانية كانت تعتمد على القمح من مصر، فاستغل أريوس هذا الموقف لكى يوغر صدر الملك الأمبراطور، ولكل ذلك كان الامبراطور يضطهد أثناسيوس، فى بعض الأحيان كان ينفى ٧ سنين متواصلة، العسكر يطارده ويحاولوا قتله ويذكر التاريخ أن أثناسيوس كان يختفى أحيانا فى الأديرة، ومرة عاش فى بيت ٦ سنوات متواصلة خبأته عندها إبنة شماسة، وكان يكتب رسائل وكانت هى تحمل رسائل الايمان هذه إلى جهات مختلفة من العالم، قضى أثناسيوس ٤٦ سنة على الكرسى لكن ما أقل الأوقات التى قضاها فعلا على الكرسى، إنما كان مشتت وذهب إلى أماكن مختلفة ورسائله وكتبه كتبها فى هذه الأماكن التى كان يختبىء فيها، وهى التراث الباقى لنا، هذا التراث الثمين الذى يعتبر تعليم الكنيسة النقى. وأثناسيوس له الفخر أنه الرجل الذى عبر عن الإيمان المسيحى الأرثوذكسى السليم التعبير السليم، ولن تجد عبارة واحدة لأثناسيوس فيها خطأ، لدرجة أن القديس غريغوريوس الثيئولوغوس أخذ يمدح أثناسيوس ويقول «إن من مدح أثناسيوس فقد مدح الفضيلة نفسها»، وقال: «إذا وجدت كلاما لأثناسيوس ولم تجد ورق اكتبه على ثيابك» وهذا نتيجة إحساس القديس غريغوريوس الثيئولوغوس بأن كل كلمة يقولها أثناسيوس ثمينة جدا.

أثناسيوس لسان الكنيسة:

فهذا الرجل كان لسان الكنيسة ولازال إلى الآن، كل ما كتبه أثناسيوس يعبر عن الإيمان الأرثوذكسى، هذا هو السبب أن أثناسيوس يسمى مؤسس المسيحية الثانى، ولذلك سموه بالرسولى لأن جهاده جهاد الرسل، وكما أن الرسل هم الذين فتنوا المسكونة وهم الذين نقلوا الإيمان المسيحى إلى المسكونة، فإنه لولا أثناسيوس الرسولى كانت المسيحية ضاعت، لذلك أعطوه لقب الرسولى وأعطوه لقب حامى الإيمان وأعطوه لقب ثالث عشر رسل المسيح. أول من لقب ثالث عشر رسل المسيح بولس الرسول وبعد ذلك أعطوه لأثناسيوس، بعد ذلك البطاركة يسموهم بثالث عشر رسل المسيح، وأثناسيوس الرسولى أول من سمى بحامى الإيمان، وأول من سمى بقاضى المسكونة، اللقب الذى يحمله بابا الأسكندرية قاضى المسكونة، أى الذى يحتكم عليه فى حل المشاكل اللاهوتية والدينية، أول من أخذ هذا اللقب هو أثناسيوس الرسولى، وهذا كان ثمنه التعب والجهاد والكفاح وتحمل الإضطهاد والآلام. حتى أنه يصدق أن نقول «أن تاريخ الإنسان هو تاريخ آلامه» يوجد كثيرون عاشوا فى التاريخ ولم يكتب التاريخ عنهم شىء سطرين أو ثلاثة أسطر، حتى فى الكنيسة هناك عدد من البطاركة يقولوا «رعى رعية المسيح وتنيح بسلام». لكن من كتب عنه التاريخ طويلا صفحات وصفحات، هم أشخاص من طراز أثناسيوس أو كيرلس أو ديسقوروس هؤلاء أبطال الإيمان، هؤلاء الذين صنعوا التاريخ وصنعوا تاريخهم بآلامهم، «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج» (١) اليوم أثناسيوس الرسولى الكل يطوبه، الكل يفتخر به.، الكل يثنى عليه. ولكن بعد

---

(١) مز ١٢٦ : ٥.

ماذا...؟ بعد ما صنع بصبره واحتماله وآلامه كل هذا التاريخ الذى لم نصنع نحن فيه شيء، نحن وجدنا البناء جاهز فننظر فى البناء ونتغنى بجماله، ونقول «ياسلام.. يا سلام». نحن لم نصنع فيه شيء، نحن نراه بعد أن كمل صرحا عاليا، لكن الذى تعب والذى حفر فى الأساس والذى قاوم المعاكسات والمنغصات والمكدرات والمعكرات، الذى دخل فى حروب مع كل نوع من أنواع البشر حتى مع نفسه. بعض الأحيان كان الملك الذى يقدر أثناسيوس يعيش عدد بسيط من الشهور، ستة أشهر ويموت، والملك الذى ينكد حياته ويضطهد أثناسيوس يعيش كثيرا، والناس تقول أن هذا دليل على أن العناية تخلت عنه. الملك الذى يقدره بعض الشيء يموت والملك الذى يتعبه هو الذى يعيش طويلا. أنت لو كنت فى مثل هذه الظروف كنت قلت أن هذا دليل على أن الله ضد أثناسيوس، وتتخذ من هذه الظروف ما تحكم على أن أثناسيوس كان مخطيء، لأن الملك الذى فى عهده كان يحسن إليه أو على الأقل يريحه أو يعفيه من النفى يموت بسرعة ولا يستمر أكثر من ٦ شهور. يخيل إليك أنه كما لو أن العناية الإلهية نفسها تركت أثناسيوس.

أنا هدفى من هذا الكلام إننا نشعر بعد ١٦ قرن، نشعر بقلوبنا بالمرارة الحقيقية وبالمتاعب الحقيقية التى تحملها هذا الرجل. اليوم عندما نمدح أثناسيوس، لا نمدحه بأساليب خطابية أو كما يحدث مع بعض الناس عندما يجدوا حاكم انتصر أو أصبح له شهرة، الكل يهتف له مع الهتافين، ويوم أن يكون هذا الإنسان فى مرارة، الكل يتركه والكل يتخلى عنه، ولكن كما قال الشاعر: جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها صديقى من عدوى

فالشدائد هى التى تبرهن على محبة الناس وتبعيتهم لشخص معين، ولكن الناس عادة يكونوا كما قال الشاعر:

إن زاد مالى فكل الناس خلانى إن قل مالى فلا خل يصاحبنى

ليس ضرورى المال أو الحاجة المادية. لكن كل مجد وكل كرامة وكل مركز، عندما يكون واحد عنده مركز ومنصب كل الناس تريد أن تكون من أصحابه وأصدقائه لأنهم يشعروا بشرف كبير. نحن الآن نشكر أثناسيوس بعد أن كبر وأصبح الكل يقدره، فلابد أن نقدره نحن ويظهر التقدير أكثر عندما نمدح فيه أكثر. هل كنا سنفعل ذلك لو كنا فى الوقت الذى كان يعيش فيه.

أثناسيوس النموذج والمثال:

على كل حال درسنا اليوم ليس فى أثناسيوس. أثناسيوس مجرد نموذج ومثال سابق أمامنا، جرى ونجح، إنما العبر فينا نحن أن نتمثل بإيمان هذا الرجل وبصبره وباحتماله، لأننا مازلنا نحن فى المسيرة، نحن مازلنا نسير فى طريق السماء فى طريق ربنا، نحتاج الثبات على الإيمان والصبر والصمود على الفضيلة، الفضيلة المعزية فى هذه الأزمنة. كونك تصمد وتصبر وتتمسك بالإيمان وتتمسك بالكمال المسيحى، حتى لو هزء بك الآخرون وانتقدوك واتهموك بالتأخر، فكل ما صمدت برهنت على أنك من عنصر أصيل وأنك من طراز هؤلاء الآباء الآماجد.

تاريخ الإنسان تاريخ آلامه

فى السابع من شهر بشنس القبطى، ويقابل الخامس عشر من شهر مايو، تعيد الكنيسة الأرثوذكسية القبطية بعيد إنتقال القديس أثناسيوس الرسولى إلى عالم البقاء، منتصرا بعد جهاد طويل ومرير مع الأريوسية، وصار بانتصاره رمزا لأعظم حركة تصحيح عرفها العالم المسيحى.

إن تاريخ القديس أثناسيوس الرسولى وكفاحه ونضاله، يحملنا على الاعتقاد أن تاريخ الإنسان هو تاريخ آلامه.

وإننى أذكر أن سيرة القديس أثناسيوس قد أثارتنى منذ شبابى المبكر، وفى يوم من أيام وجودى بانجلترا، وأنا أُحضِّر لرسالة الدكتوراة فى الآداب وفلسفة الدراسات القبطية، رأيتنى تحت تأثير شخصيته العجيبة أناجيه بقلمى بهذه الكلمات التى استرجعها من مذكراتى من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٥.

يا قديس الله !

يا أثناسيوس الرسولى !

يا بابا الشرق والغرب !

ومعلم المسكونة !

أيها الخالد، الذى وإن مات، لكنه لن يموت !

أيها البرج العالى فى الروح والنفس !

والغور البعيد فى الفكر والحب !

أيها العملاق الضخم الذى فاق كل عمالقة التاريخ من البشر !

والواحد الذى غلب الملايين !

والسابق الذى جرت فى أثره القرون !

خبِّرنى كيف أمكنك أن تقف فريداً ووحيدا ثم تغلب ؟!

كيف قاومتَ العالم بأسره ؟!

هل أنت من صخر، ولست من لحم ودم ؟!

أو هل أنت روح بلا شهوة ؟!

أو عقل بلا غفلة ؟!

يا حامى الإيمان !

أنت سر ... وسر الرب فى خائفيه !

ونحن نذكر اليوم أثناسيوس، يليق بنا أن نقرأ شيئا مما كتبه بقلمه، معبرا عن أصالة فى الفكر، وجمال فى الأسلوب، وعمق فى الروح، وتعليم أرثوذكسى إنجيلى يترجم عن إيمان الكنيسة الجامعة

لماذا مات المسيح مصلوبا

وما مغزى الصليب

للقديس أثناسيوس الرسولى

عن كتابه «تجسد الكلمة» فصل ٢٤

لابد أن نرد مقدما على ما قد يعترض به الآخرون. فقد يقول البعض: إن كان يلزم أن يموت المسيح أمام الجميع، ويشهد موته الكل حتى يتأيد الاعتقاد بقيامته بعد ذلك، فكان من الأفضل له قطعا أن يرتب لنفسه موتا كريما، فيتجنب من ثم عار الصليب.

ولكن حتى لو فعل هذا، لأعطى سببا للتشكيك فى سلطانه على الموت، وأنه لم يكن يقوى على كل نوع من أنواع الموت، بل فقط على نوع الموت الذى اختاره هو لنفسه، ومن ثم يكون ثمت سند لعدم الإيمان بقيامته، لهذا جاء الموت إلى جسده، لا من قبله هو بل من فعل عدو، حتى يبيد المخلص الموت إبادة تامة فى أية صورة يأتون إليه بها.

وكما أن المصارع النبيل إذا كان قويا وشديدا لا يختار بنفسه خصومه الذين يبارزهم، لئلا يظن به أنه يخشى بعضا منهم، وإنما يترك الاختيار للمشاهدين، لا سيما إذا كان هؤلاء المشاهدون خصوما له، حتى يهزم أيا من الناس يختارونه هم لمصارعته، مثبتا بذلك تفوقه وعظمة قوته.

هكذا كان الحال مع المسيح. إن المسيح وهو حياة الكل، وهو ربنا ومخلصنا، لم يرتب بنفسه كيفية موته، لئلا يظن بأنه كان يخشى نوعا آخر من الموت غير موت الصليب. حاشا، فقد قبل المسيح واحتمل فوق الصليب موتا أوقعه عليه الآخرون، وهؤلاء الآخرون هم أعداؤه الألداء، موتا كان عندهم مرعبا ومخيفا بحيث لا يمكن مواجهته. وقد صنع المسيح ذلك، حتى إذا ما حطم ذلك النوع من الموت بالذات، آمن الجميع بأن المسيح هو ذاته الحياة.. وتحققوا بأن سلطان الموت قد زال به نهائيا.

وهكذا حدث شئ محير، عجيب ومدهش، لأن الموت الذى أوقعوه عليه ليكون عارا وخزيا، أصبح علامة مجيدة على إنتصاره على الموت. لهذا فإنه أيضا لم يمت بالكيفية التى مات بها يوحنا المعمدان الذى قطعت رأسه وفصلت من جسده، ولا مات كما مات إشعياء بنشر جسده وشطره نصفين، بل احتفظ فى موته بجسده سليما غير مجزأ، حتى لا تكون هناك حجة فيما بعد للذين يريدون إنقسام الكنيسة وتجزئتها.

أثناسيوس الرسولى المعذب الصامد (*)

لنقف بمخافة الله لنسمع الإنجيل المقدس فصل شريف من بشارة الإنجيل لمار متى البشير بركاته علينا آمين:

«ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقولوا الناس إنى أنا ابن الإنسان، فقال قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا وآخرون إرميا أو واحدا من الأنبياء، قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح الله ابن الله الحى، فأجاب يسوع وقال له طوبى لك ياسمعان بن يونا، إن لحما ودما لن يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات، وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى، وبوابات الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات، حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح، والمجد لله دائما.(مت ١٦ :١٣ ـ ١٩)

أيها الأبناء الليلة عشية السابع من بشنس وهو عيد إنتقال البابا القديس أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان إلى الأخدار الإلهية السمائية،. بعد حياة حافلة بالجهاد والآلام.

(*) ألقيت بكنيسة العذراء والقديس أثناسيوس الرسولى ـ بدار السلام بمصر القديمة فى مساء الخميس ١٤ من مايو ١٩٨٧م ـ ٦ من بشنس ١٧٠٣ش.

والحق دائماً أن تاريخ الإنسان هو تاريخ آلامه. ما أكثر الذين عاشوا فى الدنيا ورحلوا ولم يتركوا أثرا، وقال عنهم الناس أنهم وجدوا ثم عاشوا ثم ماتوا. سطور قليلة... أما الذين كتب عنهم التاريخ طويلا فهم الذين تألموا.

وهذه هى الشخصية البارزة فى تاريخ الإيمان المسيحى أثناسيوس الذى سمى بالرسولى، مع أنه لم يكن من بين الرسل، ولكن كفاحه الطويل لم يقلْ بتاتا عن كفاح الآباء الرسل فى نشر الإيمان، فى الدفاع عن الإيمان، فى المحافظة على الإيمان، الإستمساك بالإيمان حتى أن المؤرخين اعتبروا أثناسيوس الرسولى مؤسس المسيحية الثانى بعد المسيح، لأن المسيحية تعرضت لتجربة قاسية واعترضتها حرب شديدة، كادت تؤدى بها وبروحها وبتعاليمها لولا هذا الرجل الذى شاء له الله أن يحمل هذه المسئولية، مسئولية الدفاع عن الإيمان، مسئولية المحافظة على الإيمان كوديعة.

لم يكن طريقه سهلا كان طريقه صعبا جدا، ولكن على قدر الصعوبة يشاء الله أن يكون هناك الرجل المناسب فى الوقت المناسب، لأن الله هو الذى وعد بأن يحمى كنيسته، وقال إن بوابات الجحيم لن تقوى عليها، والبوابة هى الباب الكبير العالى، بوابات الجحيم تعنى أن للجحيم بوابات، ومعنى ذلك أيضا أن هناك حروبا آتية من قبل الشيطان لكى تضرب سفينة الكنيسة، ونحن نجد فى الإنجيل إشارة إلى ما تتعرض له كنيسة المسيح من حرب، فى قصة السفينة المعذّبة. التى كانت تضربها الريح من كل جانب والمياة من كل جانب وكادت أن تغرقها، والمسيح فيها نائم ولم يكن نائما بالمعنى الحقيقى للكلمة، إنما وضع نفسه بتدبيره فى وضع النائم، هو نائم على وسادة، ليس هذا إهمالا ولكن

ليعطى فرصة، ليس هذا نوع من التخلى كما يبدو، إنما لكى يعطى فرصة بأن يتحرك الناس بحريتهم ويرقب ماذا يصنعون فى مثل هذه المواقف.

وليست هذه القصة هى الأخيرة إنما هى قصة الأجيال كلها، قصة صراع الكنيسة فى العالم مع الأمواج التى تعذبها والرياح التى تضربها، وكأن الإنجيل يريد أن يقول لنا هذا هو وضع الكنيسة فى العالم تضرب وتعذّب، تعبير «كانت السفينة معذّبة» تعبير التعذيب يستخدم بالنسبة للسفينة كما لو كانت السفينة إنسان، إن السفينة معذبة؟ تعبير يضفى على السفينة وهى شىء مادى، تعبير عاطفى إنفعالى، مامعنى أن السفينة معذبة؟ وضعت السفينة كوسيلة إيضاح عن وضع الكنيسة فى العالم، لأن الكنيسة شىء مضاد لإرادة الشيطان، حينما نزل المسيح من السماء نزل فى مملكة الشيطان، لأن الشيطان حينما طُرد من السماء نزل إلى الأرض طُرح إلى الأرض، كما يقول سفر الرؤيا وطُرح إلى أعماق الجحيم فأصبح مالكا للأرض ومالكا للعالم السفلى، وهذا التعبير استخدمه المسيح على الأقل ثلاث مرات، سمى الشيطان رئيس هذا العالم، والذى يقول هذا السيد المسيح.

فالمسيح حينما نزل إلى الأرض ليؤسس لنفسه ملكا كما قال فى أكثر من موضع، فالكنيسة مؤسسة هى مملكة المسيح على الأرض، وصار المسيح بالنسبة للكنيسة هو الملك ، لذلك نقول دائما ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا، والمسيح لما سأله بيلاطس البنطى بدعوى الذين اتهموه بأنه يقول إنه ملك، قال له : هل أنت ملك قال : نعم أنا هو كقولك، لكن مملكتي ليست من هذا العالم. ومرة يقول للآباء الرسل «أنتم لستم من العالم لكنى أنا أخذتكم من

العالم، أى بإنضمامكم إلىّ انفصلتم عن العالم، خرجتم من مملكة الشيطان وصرتم تابعين لى، وهذه المملكة لها علم وعلم مملكة المسيح هو الصليب، والصليب خطان متعارضان لا يلتقيان إلا فى نقطة واحدة هى نقطة التعارض، خط رأسى وخط أفقى وهذا يشير إلى التعارض بين مملكة المسيح ومبادىء المسيح وبين الشيطان والعالم، ولذلك كل ما كانت الكنيسة أمينة لرسالتها رسالة المسيح لابد أن تكون فى حرب مع العالم. يوم أن تسقط هذه الحرب، هذه علامة خطرة على أن هناك مهادنة بين الكنيسة وبين العالم، هذه المهادنة خطيرة جدا على كيان الكنيسة، معناه أن الكنيسة بدأت تتبنى مبادىء الشيطان أو على الأقل تهادنها، وهذا معناه أنها انحرفت عن رسالة سيدها وهى علامة خطيرة، من هنا كان دائما طالما الكنيسة هى كنيسة المسيح لابد أن تبقى كسفينة معذبة بصور مختلفة، منذ أنشأ المسيح الكنيسة مرت بظروف مختلفة، فى الأول الاضطهادات، والمضايقات لرسالتها والإستشهاد أول عصر من عصور الكنيسة المسيحية، من يوم أن أسس المسيح الكنيسة من العصر الأول مباشرة العصر الرسولى إلى عهد الملك قسطنطين وهو أول ملك اعترف بالديانة المسيحية كإحدى الديانات التى تعترف بها الدولة، كل هذه الفترة نحو أربعة قرون فيها عانت الكنيسة من عشرة إضطهادات على الأقل وأخرها كان الإضطهاد المعروف باسم دقلديانوس، ولذلك آبائنا الأقباط بدأوا أول حلقة جديدة من حلقات تاريخهم الطويل فى ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤، حلقة اعتلاء دقلديانوس عرش الأمبراطورية الرومانية وبدأوا بما عُرف بتقويم الشهداء أو بتاريخ الشهداء وهذا ليس معناه أن التقويم القبطى بدأ من هنا والتقويم القبطى أقدم تقويم إنسانى عرفته الإنسانية، آباؤنا المصريون القدماء

أول من وضعوا تقويما، قبل ذلك كان هناك إضطهادات كثيرة واعتبر دقلديانوس الإضطهاد العاشر، ابتداءا من العهود السابقة طيباريوس ونيرون وغيره وغيره... ولغاية دقلديانوس، بعد هذا العصر الذى فيه الكنيسة تنفست الصعداء واعترف بها، اعترفت الدولة بها كإحدى الديانات التى تقرها أو تعترف بها، ليس معنى ذلك أن المسيحية اعتبرت من عهد قسطنطين هى الديانة الرسمية، لا.. إنما اعترفت بها الدولة، لأنه لم يكن معترف بها من قبل، كان هناك ديانات أخرى معترف بها من الدولة.

فهنا بدأ فترة جديدة، هذه الفترة مع بالغ الأسف بدأ بها عصر ألم آخر للكنيسة وعذاب آخر وهو الهرطقات والبدع المهاجمة للاهوت المسيح، فالحرب مع الكنيسة لم تتوقف، الفترة الأولى إضطهادات وقتل وإستشهاد، إستشهد الملايين، فى العصور المختلفة، لما بدأنا نتنفس الصعداء والدولة تعترف بالكنيسة، وأصبح المسيحيين يقدروا أن يصلوا علانية وجهارا، ويقدروا أن يبنوا الكنائس، بدأ إضطهاد آخر من قبل الشيطان، عذاب جديد، نوع آخر من الآلام للكنيسة، وهذا فى الواقع أبشع وأفظع من الفترة الأولى وهى فترة الإضطهادات، لأن فترة الإضطهادات على الرغم من مرارتها وآلامها ومتاعبها، لكنها كانت فترة منعشة للكنيسة والحياة الروحية، العناصر الضعيفة كانت تسقط مثلما يسقط الورق الأصفر فى الخريف، ليعطى فرصة للبراعم الجديدة لتظهر فى الربيع، فى فترات الإضطهاد هناك إناس فعلا يتركوا الإيمان، صحيح أن هذه ظاهرة مؤلمة لكن لخير الكنيسة، لماذا؟ لتطهر الكنيسة، تطهرها من الأوراق الصفراء الضعيفة، وتطهرها من العناصر الضارة

بها، من الثعالب المفسدة للكروم، الأدعياء للدين وليسوا متدينين على الحقيقة، الناس الذين من أجل الحالة الإجتماعية أو الدولة يدخلوا إلى الإيمان فرحين لكن ليسوا على دين حقيقى، يقولون «الناس على دين ملوكهم»، ففى فترات الإضطهاد لا يوجد فى الكنيسة فرصة لمثل هذه العناصر الخبيثة أو الضعيفة أنها تكون موجودة، لأنها تبعد هربا من الإضطهاد وهربا من الآلام، هذه الفترة على الرغم مما فيها من آلام مرت بالكنيسة لكن كانت فترة تطهير، فكانت الكنيسة طاهرة لا يبقى فيها إلا العناصر القوية، لأن العناصر الضعيفة كلها تسقط عادة فى الإضطهاد، لذلك قالوا فى التاريخ «دماء الشهداء بذار الإيمان» جملة جميلة ، ماذا تعنى بذار؟ تعنى مثل ما أنت ترمى البذرة فى الأرض وهذه البذرة لابد أنها تثمر، فإذن دماء الشهداء تكون سبب لزيادة الإيمان ولقوة الإيمان ولطهارة الكنيسة من العناصر المفسدة الضعيفة التى تعطل مسيرة الإيمان وجيش الخلاص، الشيطان لم يترك الكنيسة، أثار عليها حربا من نوع آخر، عندما اعترفت الدولة بالكنيسة ظهرت حرب أخرى هى حرب الهرطقات، أو الناس الذين يخرجوا بأفكار منحرفة وينسلخوا عن العقيدة السليمة المسلَّمة إلينا وديعة، الإيمان وديعة وهذا ما قاله بولس الرسول لتيموثيوس الرسول، احفظ الوديعة بالروح القدس، الوديعة هى وديعة الايمان، لو ترك أحد عندك وديعة تشعر أنك لابد أن تحافظ عليها، تسلم فى شىء يخصك لكن إلاّ الوديعة، الوديعة غالية عليك تشعر أنك أنت مطالب أن تحميها وأن تحفظها حتى يجىء صاحبها، والمسيح قال لنا «الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجىء»(١).

---

(١) رؤ٢ ٢٥.

المهم أنه بعد قسطنطين بدأت فترة جديدة من آلام الكنيسة، تتمثل فى هذا الإنحراف العقائدى الإيمانى، ظهر واحد اسمه أريوس، وهذا قسيسا موهوبا، كان مشهور بكفاءته من الناحية الخطابية وقدرة تأثيره على الجماهير وإلاّ فكيف صار لأريوس أتباع كثيرون، كيف؟ مالم يكن هذا الإنسان عنده فعلا مؤهلات طبيعية جعلته زعيما ينضم إليه آخرون، هذا الإنضمام لأريوس نظرا لما كان لأريوس من مكانة، فلم يكن مجرد إنسان كافر ولكنه كاهن بليغ ومشهور، وله صفات الزعامة وله أسلوب فى التأثير على الجماهير، بل واستعان أيضا بما عرف بالثاليات، والثاليات هي قصائد وأناشيد، ألفها أريوس ووضع فيها أراءه المسمومة مثل الأناشيد والقصائد الشعرية. فالناس تقبل على الموسيقى، والأناشيد لها رنينها ولها تأثيرها العاطفى على الجماهير، ثم أن الإنسان عنده إستعداد أن يحفظ الأنشودة أكثر مما يحفظ الكلام العادى، فأصبح الناس يرددوا آراء أريوس لأنهم يرددوا الأناشيد ويرددوا القصائد الشعرية «الثاليات» التى كان وضعها أريوس، فأريوس انحرف كإنسان من تلقاء نفسه ولكن هناك تشجيع وتقويه له من الشيطان ومن الناس الذين اقتنصهم الشيطان لإرادته، الناس الذين حوله والذين يمدحونه، كل إنسان فى الدنيا يجد من يمدحه ويجد من يحبه ويجد من يدافع عنه وأحيانا يدافعوا عنه أكثر مما يدافع عن نفسه. وأحيانا يكون تلاميذ الإنسان أخطر عليه من أعدائه.

هنا الموقف تعرض له يوحنا المعمدان، تلاميذه أتوا إليه ليثيروه قائلين: هوذا الذى أنت شهدت له (المسيح) يعمد، والجميع يذهبون إليه، يعنى الذى أنت صنعت معه الخير، الذى صنعت معه المعروف الذى أنت شهدت له، أخذ

منك الشعب وأصبح الجميع يأتون إليه، بعدما كنت أنت كل شيء أصبحت لا شيء وهو أساء إليك، من الذى قال ذلك ليوحنا؟ تلاميذه. الذين يحبونه. لكن انظر عظمة يوحنا المعمدان الذى كان يفهم رسالته، أنه لم يأتى ليخطف العروس لنفسه، قال لهم: أنا لم أقل لكم أنى أنا المسيح، أنا مرسل أمامه، أنا صديق العريس الذى أفرح بصوت العريس، العروس ليست لى، هى للمسيح، أنا صديقه، أنا مرسل أمامه، أنا خادم له لذلك فرحى قد كمل.

ما أعظمك يا يوحنا لأنك وقفت الموقف السليم، لم تنحرف يا يوحنا فى فهم رسالتك، لم تغرك المظاهر التى يسمونها الشعبية، إنما فهمت أنك أنت مرسل أمام سيدك ولم تنحرف عن هذا المفهوم من أجل أن تكسب جماهير الشعب.

فيوحنا المعمدان وقف ضد تلاميذه، وهذا موقف ليس سهلا فى الزعامات البشرية أن يقف زعيما ضد المخلصين له وضد المحبين له، هذا برهان على أن يوحنا المعمدان كان روحانيا حقيقة.

فأريوس تحمس له كثيرون ونادوا به، ثم انضم إليه كثيرون، لا من الشعب فقط، بل من رجال الدين أيضا من كهنة وأساقفة وأيضا الدولة.

قسطنطين الملك الذى فى مجمع نيقية مسك يد أثناسيوس وقال له: أنت بطل كنيسة الله، وكان أثناسيوس مجرد شماس فى ذلك الوقت، قسطنطين قبل الوشاية من أريوس ومن الأريوسيين عندما قالوا له أن أثناسيوس هذا الفرعون العنيد يرفض أن يرسل القمح للحكومة الرومانية أو للدولة الرومانية - لأن مصر فى ذلك الوقت كان إنتاجها فى القمح كثيرا جدا، فحدث فى أيام أثناسيوس الرسولى لأسباب معينة تقصير فى هذا الموضوع، فاستغل الأريوسيون

هذا الموقف وسعوا إلى الامبراطور وأفهموه أن أثناسيوس هو الذى تسبب فى منع أن يرسل القمح للحكومة الرومانية وأمور أخرى كثيرة، قالوا له هذا فرعون وهو رأس عنيد ولا يخضع للأمبراطور وأنه يريد العالم كله يخضع له، المهم أن الدولة برئاسة قسطنطين انضمت إلى أريوس وأصبحت الحركة الأريوسية مؤيدة من شعب لم يفهم، ولا يوجد عنده القدرة للدخول فى هذه المشكلة العويصة، خصوصا وأن أريوس كان من الذكاء بحيث وضع هذه الثاليات وهذه القصائد الشعبية، فجعل الشعب يردد هذه الأناشيد وهذه الثاليات بصورة يبتلع فيها الآراء الأريوسية دون أن يدرى.

بالإضافة الى أن أريوس كان من الخبث فى التقرب للشعب، كيف يذهب إلى صبى صغير ويسأله أنت أكبر أو أبوك؟ يقول طبعا بابا، يذهب للنساء هو وأتباعه ويقول لها ابنك من الأساس فيه؟ تقول له مثلا رجلها، يقول لها هو أكبر أم أبوه؟ طبعا تنكسف المرأة وترد عليه. وهذا الذى قاله أثناسيوس الرسولى: قال إن أريوس يلجأ لهذه الطرق، يلجأ للنساء ويسألهم هذه الأسئلة المحرجة، ويلجأ للأطفال الصغار والصبيان ويدخلهم فى الخلاف العقائدى بهذا الأسلوب الخبيث لكى يؤثر على أكبر عدد ممكن من الناس العاديين.

فهم يفهمون البنوة بهذا الفهم الخاطىء الحسى الجسدانى ويسألون كيف الإبن يجىء قبل الآب، كيف الإبن يكون مع الآب؟ الآب لابد أن يكون أسبق. لكن طبعا هنا المسألة رد عليها القديس أثناسيوس الرسولى عندما قال: الماء من النبع لكن منذ أن كان النبع نبعا فالماء فيه، لم تمر لحظة من الزمان يكون فيها نبع ولا يكون ماء وإلاّ كيف يكون نبع، أشعة الشمس منذ أن كانت الشمس

شمسا يشع منها النور، لم يكن هناك لحظة زمنية كانت فيها الشمس شمسا ولم يكن فيها نور، فلأن الله نزل إلى الأرض فأصبح له وجود على الأرض، فهنا نزول لكن من دون أن يفارق السماء ولذلك المسيح قال : «ليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذى نزل من السماء إبن الانسان الذى هو فى السماء» والمسيح لماذا يقول أنه ابن الإنسان،؟ لأنه أخذ صورة الإنسان، لأنه جسديا وإنسانيا ولد من مريم، فمن هنا هو إبن الإنسان بهذا المعنى، ولكن المسيح فيما هو إبن الانسان هو الله ذاته «عظيم هو سر التقوى الله ظهر» فهنا البنوة ليست بمعنى الولادة الجسدانية فى عالم الإنسان، إنما بمعنى التجلى والظهور. فلبيان العلاقة بين هذا المتجلى وهذا الظهور ومابين الآب وهو أصل الوجود سمى بالإبن، كلمة الآب كلمة سريانية شرقية معناها الأصل. فالله بيسمى الآب، لماذا؟ لأنه أصل الوجود. الوالد فى الجسد نسميه أب لماذا؟ لأنه أصل وجود الانسان، فالله يسمى الآب لهذا الوجود لأنه أصل الأصول ولذلك خطأ يا أولادنا أن يقال عن الكاهن الآب الورع، لكن يقال الأب البطريرك، الأب الكاهن، هذا خطأ يقع فيه كثير من الناس. فالله وحده هو الآب لأنه أصل الأصول، هذا هو معنى كلمة آب، وكلمة الابن لماذا؟ ليس بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان، لا.. ولكن لأن المسيح هو التجلى الأعظم والمسيح قال ذلك عندما سأله فيلبس: «أرنا الآب وكفانا» قال له «أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى يا فيلبس: الذى رآنى فقد رأى الآب فهنا لا يوجد إنفصال، لا يوجد بنوة كما فى عالم الإنسان وعالم الحيوان، إنما إبن لأنه التجلى الأعظم، الله هو الغير منظور بطبيعته صار منظورا، فسمى بالإبن، لذلك أقول أريوس كان خبيثا فى أنه أنزل المشكلة فى الطبيعة الإلهية التى فوق قدرات البشر، إلى المستوى الحسى الجسدانى وهذا ما

نراه من الناس المختلفين الذين لا يفهمون معنى أن المسيح ابن الله، يقولوا الله ليس له ولد، ومن قال الله له ولد؟ من الذى قال هذا؟ هذا تشويه للحقيقة المسيحية، نحن لا نقول أن الله له ولد، والله لايلد وليس له صاحبة، من قال هذا؟ هذه إساءة وهذه طبعا مصدرها النساطرة الذين كانوا فى بلاد العرب.

المهم أنا أود أن أقول أن أثناسيوس كان موقفه صعب جدا، مقاومات من الشعب الغير فاهمين والأمر الثانى بهذه الثاليات وبهذه القصائد الشعرية التى وضع فيها أريوس آراؤه ولأن الناس يحبوا الأناشيد ويحبوا الأغانى انضم إليه عدد كبير من الناس، ثم استطاع أريوس بلباقته أيضا أن يكسب عدد من الكهنة وعدد من الأساقفة ثم استطاع أن يكسب الدولة بإثارة الملك قسطنطين ضد أثناسيوس الرسولى وهذا هو السبب الذى دعى قسطنطين الملك أن ينفى أثناسيوس خمس مرات، مرة واحدة منهم كانت ٧ سنين، أثناسيوس عاش خمسين سنة فى حرب مع الأريوسية.

اليهود أيضا كانوا جالية كبيرة جدا فى الأسكندرية فى هذا الوقت واليهود طبعا ضد فكرة موضوع المسيح فانضموا أيضا إليه وكان لها تأثيرها ونفوذها، حتى الحكام فى عهد البطالمة كانوا يتقربوا إلى اليهود لأجل أن يكسبوا ودهم، لأن اليهود كانوا دائما أغنياء ويمسكوا الناحية المالية والإقتصادية فى الإمبراطورية، فمثلا الإمبراطور بطليموس فلادلفيوس عمل الترجمة التى عرفت بالترجمة السبعينية ترضية لليهود. كان الأباطرة فى مصر يرضوا اليهود نظرا للنفوذ اليهودى الاقتصادى، وأيضا الشعب الوثنى لأنه فى أوائل القرن الرابع كانت المسيحية صغيرة وكان هناك مازال فى الصعيد خصوصا

الوثنية سائدة كثيرة جدا، لأنه دائما شعبنا شعب متمسك ومحافظ وليس من السهل أن يتحول عن معتقده، حقا أن هناك علاقة بين بعض معتقدات مصر القديمة وبين العقيدة المسيحية فى نقط معينة، لكن مبدأ التمسك بالوثنية كان مسيطر خصوصا فى بلاد الصعيد.

أود أن أقول أن العالم كله كان ضده، لذلك قالوا له «العالم كله ضدك» هذا الكلام سهلا أن نقوله على المنبر سهل جدا، ونقوله باللغة الخطابية، لكن جرب نفسك أنك تكون فى مثل هذا الموقف وكل الناس ضدك، ليس سنة أو إثنين لكن خمسين سنة، ولذلك الحقيقة أنا مرة كنت أفكر قلت أثناسيوس هل هو حديد؟ هل هو نحاس، أليس إنسان من أعصاب ومن لحم ودم، كيف يتحمل هذا كله؟ وكيف يصمد هذا الصمود؟!! رجل عقدت ضده مجامع مسيحية.

حقا الواحد عندما يفكر فى هذا الرجل كيف كان شموخه؟ كيف كان صموده؟ كيف كان ثباته؟ كيف كانت وقفته القوية ومع ذلك لم يمتلىء قلبه بالحقد، كان دائما حتى الأريوسيين يشعر نحوهم بالعطف عليهم، يقول: إن عدونا الحقيقى ليسوا هم الأريوسيين إنما الشيطان، ويحول الموضوع حتى لا تكون هناك كراهية ضد الأريوسيين كأشخاص، يقول أن الشيطان هو عدونا الحقيقى، وهذه العبارة لا يقولها أحد فى هذه المعركة العظيمة إلا إذا كان فى درجة روحانية عالية جدا، وفعلا أثناسيوس الرسولى له رؤى وله مكاشفات، وذلك لأن الله شاء أن يقويه ويشجعه ويساعده حتى يصمد، فكانت له مكاشفات وكانت له رؤى، هذا إلى جانب روحانيته سندته وقوته لكى يقدر أن يتغلب على الصعوبات التى أمامه.

الخلاصة يا أولادنا أنا أريدكم أن تتأملوا بأفكاركم وقدروا الصعوبات التى واجهت أثناسيوس. وتروا حقيقة كم يستحق هذا الرجل كل تكريم. اليوم نكرم القديس، لكن أوكد لكم تماما أن هناك كثير من الناس فى زمانه كانوا يلوموه، خمسين سنة صامد لذلك كل مايقال من مدح فى أثناسيوس قليل، هو فوق مستوى البشر، من يقدر أن يتحمل هذا كله!! كلمة أثناسيوس ضد العالم أصبحت لقبه نحن نقولها ونرددها بسهولة، لكن تصور نفسك فى الموقف لكى تقدر صعوبة أن يقف الإنسان ضد الناس كلها، هذا ليس من السهل، نحن نشكر الله أن الرجل نجح أخيرا، لذلك الأكاليل التى أخذها كانت بعد حياته.

المدح الذى نمدحه اليوم، لم يكن يستطيع أحد أن يمدحه وهو حى، لا شك أنه كان هناك بعض المخلصين، إنما كان الرجل معذب والكنيسة كانت فى شخصه هى هذه السفينة المعذبة، التى تضربها الأمواج من كل ناحية من نواحيها، كيف استطاع أثناسيوس أن يصمد؟ نشكر الله أنه قدر أن يصمد ويحفظ لنا وديعة الإيمان.

نحن مديونين له بالكثير لأنه هو الذى وصلّ إلينا هذا الإيمان، لولاه لكانت المسيحية شيئا آخر غير المسيحية التى تسلمها أثناسيوس الرسولى من المسيح والآباء الرسل.

ولذلك يقول الكتاب المقدس «لابد أن يكون بينكم بدع، ليكون المزكون ظاهرين»(١) الشيطان يعمل ضد الكنيسة فلابد أن تكون الكنيسة باستمرار معذبة، من زاوية الإضطهادات، ومن زاوية الهراطقة والهرطقات والأراء

---

(١) ١ كو ١١ : ١٩.

الدينية المنحرفة، على هذه الصخرة أبنى كنيستى. ما هى الصخرة؟ صخرة الإيمان بلاهوت المسيح.

على هذه الصخرة وهذا ما قاله كل الآباء أثناسيوس وكيرلس الأول عمود الإيمان وبولس الرسول قال: «والصخرة كانت المسيح» على هذه الصخرة صخرة الإيمان والاعتراف بأن المسيح هو الله الظاهر فى الجسد، هو ابن الله بهذا المعنى، أى لو انحرفت الكنيسة عن هذا الإيمان بأن المسيح هو الله الظاهر فى الجسد وابن الله بهذا المعنى، لو انحرفت الكنيسة ضاعت، لأن هذه هى الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة، إذا تزحزحت الكنيسة عن هذه الصخرة تقع فى الإتجاه الآخر، ثم يقول «كنيستى» الموضع الوحيد فى الإنجيل الذى فيه المسيح ينسب الكنيسة إليه، كنيستى، الكنيسة ملكه ولذلك أعطى الضمان «بوابات الجحيم...» الباب حجمه صغير لكن فى اليونانى «بوابات» أبواب كثيرة مثل بوابات الأديرة الكبيرة تكون عالية جداً، ومثل بوابات المدن الكبيرة، فالجحيم عالم، عالم كبير فالمسألة ليست مسألة أبواب صغيرة، فالمسيح أعطى ضمان أنه لن يحدث أبدا أن الكنيسة تقوى عليها بوابات الجحيم، يتركها بعض الوقت، ينام على وسادة لكى يرى ماذا يحدث، لكن فى الوقت المناسب يقف ويقول للريح اصمتى وللبحر اخرس، فيصير هدوء عظيم، وبعد ذلك يرجع مرة أخرى الشيطان يتعب الكنيسة ويضربها من يمين ومن شمال، والمسيح ينتظر يرى ماذا يعمل الناس، يرى المؤمنين هل يثبتوا أم لا.. ويرى الذين يضيعوا والذين يتركوه والذين يهملوه، اليوم هناك تحديات كثيرة ضد المسيح، فى عصرنا فى بلدنا وفى غير بلدنا الشيطان يتحدى المسيح،

ويمتحن الإيمان، يقول إذا جاء ابن الانسان فى المجىء الثانى ألعله يجد الإيمان على الأرض، هناك أشخاص ممكن أن يتركوا الإيمان أمام الشدائد، نحن محتاجين فى هذه الأيام إلى الصلاة والصمود وإلى الصبر وإلى أن نفهم، التحديات الحاضرة، تحديات للإيمان، تحديات للمسيح، تنبهوا لذلك، نريد ترمومتر الحياة الروحية يرتفع، شكرا لهؤلاء الأعلام الكبار أمثال أثناسيوس وكيرلس وديسقوروس ومن إليهم، الذين استطاعوا أن يصمدوا ضد الحروب ولو أن هذا على حساب راحتهم وعلى حساب سعادتهم الأرضية إنما لهم الإكليل «كن أمينا حتى الممات فأعطيك إكليل الحياة» لذلك هؤلاء الأشخاص أمثال أثناسيوس الرسولى لهم فعلا أكاليل، ماهى الأكاليل؟ أكاليل الغلبة، أكاليل الانتصار، إكليل البتولية، إكليل الرسولية، إكليل الإستشهاد، تقول أثناسيوس الرسولى لم يقتل، هناك شهداء بدون سفك دم، الذين نسميهم المعترفين. يوحنا الرسول نسميه من المعترفين، لم يمت شهيدا لكن ذاق الإستشهاد ووضعوه فى خلقين من الزيت المغلى، ولكن من أجل خير الكنيسة الله أنقذه وبعد ذلك مات موته طبيعية، فلذلك يسمى من المعترفين.

كذلك أثناسيوس الرسولى لم يمت شهيدا لكن رأى أفظع مما رآه الشهداء، خمسين سنة عذاب بكل معنى كلمة عذاب، لكن مات موتة طبيعية فهو من المعترفين، وطبعا خير المعترفين وفى قمة المعترفين لأنه حافظ على الإيمان واعترف بالإيمان ولم ينكر الإيمان.

القديس أثناسيوس ومدينة «ترير»

فى السابع من شهر بشنس القبطى، الموافق ١٥ من مايو- آيار، تحتفل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بذكرى إنتقال القديس أثناسيوس الرسولى إلى فردوس النعيم فى عام ٣٧٣ لميلاد المسيح.

وفى نفس التاريخ من سنة ١٩٧٣م احتفلت كنيستنا والعالم المسيحى معها، بعودة رفات القديس أثناسيوس الرسولى من فينيسيا (البندقية) وروما، وبمرور ستة عشر قرنا على النهاية السعيدة لكفاح حامى الإيمان الأرثوذكسى.

وقد سافر لهذا الغرض إلى روما قداسة البابا شنوده الثالث بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى كل إفريقيا والشرق والمهجر، يرافقه وفد مؤلف من عشرة من الآباء المطارنة والأساقفة (بينهم إثنان من الأثيوبيين)، وإثنين من الرهبان الكهنة وإثنين من الشمامسة.

وفى هذه المناسبة وقّعَ بابا روما وبابا الأسكندرية، فى العاشر من مايو- آيار- على بيان مشترك، هو وثيقة روحية عقائدية تسجل إيمان الكنيستين الواحد فى لاهوت المسيح، وتنصّ على تشكيل لجنة رسمية مشتركة على مستوى الرئاستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، لمعالجة أسباب الخلاف الذى حدث فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، وعلى مدى خمسة عشر قرنا من القطيعة بين الكنيستين الشرقية والغربية، وذلك بهدف تحقيق الوحدة المسيحية المسكونية.

والقديس أثناسيوس المعروف بالرسولى، والمسمّى أثناسيوس الكبير، هو صاحب أكبر حركة تصحيح دينية فى تاريخ المسيحية، كلفته الكثير من الجهاد

والصراع والدموع والآلام، بسبب بدعة (أريوس) الهرطوقى القسيس الليبى الأصل الذى ظهر فى الأسكندرية، وأنكر لاهوت المسيح وأزليته مع الآب والروح القدس، هذه البدعة التى يجددها فى السنوات الأخيرة يهود صهاينة يسمّون أنفسهم (شهود يهوه)، ويدّعون أنهم مسيحيون - وما هم بمسيحيين - يطرقون بيوت المسيحيين وهم يرددون بضع آيات من الكتاب المقدس، يحفظونها عن ظهر قلب ويفسرونها تفسيرا منحرفاً، يخدعون به قلوب البسطاء من المسيحيين - وهؤلاء الذين يدعون أنهم (شهود يهوه) قد لفظهم كلّ العالم المسيحى شرقاً وغرباً، وكشف حقيقتهم اليهودية الصهيونية، ولذلك يرفض مجلس الكنائس العالمى إنضمامهم إليه، ويعتبرهم غير مسيحيين على الرغم من دعواهم، وعلى الرغم من ترديدهم لبعض نصوص من الكتاب المقدس يسوقونها لتأييد مذهبهم، وهم يقتطعونها وينتزعونها من سياق ما قبلها ومابعدها فى سوء نية وسوء فهم وقصد، وينكرون التثليث المسيحى وينكرون الإيمان بالجزاء الأخروى مما يشهد بعداوتهم الحقيقية للمسيحية.

هؤلاء أى أتباع مذهب (شهود يهوه) يريدون أن يعودوا إلى العالم بآراء أريوس الهرطوقى، التى كافح أثناسيوس الرسولى خمسين سنة من حياته فى نقضها وهدمها مدافعاً عن لاهوت المسيح، وأزليته مع الآب والروح القدس. (فشهود يهوه) يقولون اليوم: لقد كان أريوس على حق، وكان أثناسيوس على باطل. ولذلك يسمونهم فى الغرب بـ (الأريوسية الجديدة) New Arianism

ومما يدمغ (شهود يهوه) بأنهم غير مسيحيين وأنهم يهود صهاينة، أنه بينما يقولون مقالتهم عن أثناسيوس تلك، نجد العالم المسيحى كلّه فى الشرق

والغرب، بمن فيه من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت، يحني هامته إجلالاً وتقديراً لأثناسيوس الرّسولى وكفاحه البطولى ضد أريوس وبدعته الشريرة، ويعتبر عند جميع المسيحيين الأب الروحى للمسيحيين جميعا. ولن تجد كتابا مسيحياً فى الشرق والغرب، إلاّ ويشيد بعظمة إيمان أثناسيوس وسلامته وقوة حجته وصحة دفاعه عن المسيحية، وعن إيمان المسيحيين فى لاهوت المسيح، وأنه إبن الله أى الصورة المنظورة لله الغير المنظور، وأنه كائن منذ الأزل مع الآب والروح القدس، الإله الأحدىّ الذات المثلّث الأقانيم والصفات، وأنه لم تمرّ قط لحظة فى الزمان إلاّ وكان الإبن كائنا مع الآب والروح القدس فى الذات الإلهية الواحدة ـ أى أنّ الأقانيم الثلاثة كائنة معاً فى الذات الإلهية منذ الأزل الذى لابداءه له.

أثناسيوس فى الغرب

ومن بين ماعاناه القديس أثناسيوس أنه نُفِى فى عهد الأمبراطور قسطنطين إلى مدينة ترير (Trier) أو تريف (Treves) على حدود ألمانيا الغربية، وهى أقدم مدينة فى كل ألمانيا، وترجع إلى ألفى سنة، ولاتزال بها آثار قديمة ترجع إلى أزمنة الرُّومان، ومنها: حوائط وأسوار، وبوابات وأقواس نصر أقيمت لأباطرة الرُّومان وبيزنطة.

لقد تلقَيتُ دعوةً من مدير متحف الدولة الأستاذ الدكتور د. أرنيس D. Ahrens لمشاهدة قسم المنسوجات القبطية بمتحف الدولة، وهى منسوجات يرجع بعضها إلى القرن الثانى والثالث، ويرجع بعضها الآخر إلى القرن السّادس والسابع وإلى العاشر، ومجموعة ثالثة منها ترجع إلى القرن الحادى

عشر والثانى عشر، وهى كلّها اشتريت بالمال الخاص، بعضها اشتراها الدكتور أرنيس D. Ahrens المدير الحالى لمتحف الدولة فى ترير، وبعضها اشتراه المدير السابق. وهى جزءمن التراث القبطى الذى أثرى متاحف أوربا وأمريكا، ممّا يشعر القبطى حين يشاهده، بفخر واعتزاز وارتفاع فى قامته المعنوية.

على أننى فى الحقيقة لبيّتُ هذه الدعوة الكريمة من مدير متحف ترير الدكتور أرنيس D. Ahrnes ، ومن رئيسه وزير الثقافة دكتور بلانكنبرج Dr. w. Blankenburg شاكراً... دخلتُ المدينة التاريخية وقلبى يخفق، وكأننى سألتقى هناك بالقديس أثناسيوس الرسولى نفسه. كان ذلك فى يومىّ الخميس والجمعة ١٥، ١٦ من مارس لسنة ١٩٧٩ ـ ٦، ٧ من برمهات لسنة ١٦٩٥.

ومع أننى كنتُ أعلم أن أثناسيوس ليس هناك... فقد رحل إلى عالم الخلود منذ ستة عشر قرناً... ومع أننى أعلم أيضا أننى سوف لا أجد هناك جسده أو رفاته، بل وقد لا أرى له أثراً باقياً هناك..

إلاّ أننى كان يكفينى أن أستنشق هواء المدينة، التى عاش فيها أثناسيوس منفياً لمدة سنتين وثلاثة شهور، أو على الدقة من فبراير سنة ٣٣٦ إلى مايو سنة ٣٣٨ وأن أسير فى شوارعها وأزقتها، وأتطلّع إلى أحجارها القديمة وأسوارها العتيقة، فأشبع بهذه الرؤيا وبنسيم المدينة، قلبى المفعم بمحبة الرجل البطل الذى قاد الكنيسة ورفع راية الإيمان فى أدقّ الظروف وأحلك الأيام، وكانت الدولة البيزنطية بكل جحافلها ترى فيه الخصم العنيد لنفوذها القوى، ويرى فيه اليهود فى مصر ـ وكانوا جالية ضخمة شوكة قوية مناوئة.. ويرى

فيه الرُّومان والبيزنطيون والوثنيون، المصريون والأجانب، مفكرا ينادى بنظرية تعادى نظرياتهم... ويرى فيه الأريوسيون الرأس العنيد الذى يعارضهم ويقاومهم ويفضح سوء إعتقادهم... ويرى فيه الباقون من الناس رجلاً أثار العداوة ضده من كل الأطراف، وفى سبيله عانى الشعب الكثير من الضغوط والاضطهاد وصنوف التعذيب والقتل والتشريد، حتى قالوا لأثناسيوس: إنّ العالم كلّه ضدّك، فقال: وأنا بنعمة إلهى ضدّ العالم. فعرف فى الغرب بأنه (أثناسيوس المعارض للعالم) Athanasius Contra Mundum

قلتُ يكفينى أن أرى فى (ترير) نفسها، وهى المدينة التى بوجودى فيها، وسيرى فى شوارعها، أحيا ذكرياتى مع أثناسيوس بطل الإيمان الأرثوذكسى، وأنتزع نفسى من العالم المعاصر لأعيش فكريا فى جوّ القرن الرابع لميلاد المسيح فيما بين فبراير ٣٣٦ إلى مايو ٣٣٨.

ولقد بقى من تاريخ أثناسيوس فى ترير ما يعتز به أهل (ترير)، أن (مكسيمين) أسقف المدينة العريقة، وهو الخامس فى تعداد أساقفتها منذ أوائل المسيحية فيها، هو الأسقف القديس الذى رحّب بالقديس أثناسيوس عندما جاء إلى (ترير) منفياً، واستقبله مكسيمين الأسقف وأكرم وفادته، وصلّى معه القداس، وربط مصيره به، وعرّفه لشعبه وزامله وصادقه وأضافه وأحبه... ويذكر أهل (ترير) المكان الذى صلّى فيه أثناسيوس القُداس مع (مكسيمين)، وهو إلى الشّمال من محطة السكة الحديد القائمة الآن فى (ترير) أو تريف.

أما القديس (باولينوس) Paulinus ،فهو الأسقف السابع فى عداد أساقفة المدينة، وقد جاء بعد مكسيمين، وكان محبا أيضا لأثناسيوس، وثابتا على

الإيمان الأرثوذكسى بلاهوت المسيح وأزليته مع الآب، وقد رفض أن يوقّع على قرار بحرم أثناسيوس ونفيه، وقد عاقبوه على شجاعته وتضامنه مع أثناسيوس بأن نفوه هو الآخر إلى فريجيه بآسيا الصُغرى (وهى الآن تركيا).

وفى كنيسة القدّيس (باولينوس) رأينا فى أسفل الكنيسة من تحتها مقابر لشهداء، من بينها مقبرتان لشهيدين من الأقباط. وفى سقف الكنيسة رسم للفرقة العسكرية الطيبية (من طيبة فى صعيد مصر) وقد أمروهم أن يسجدوا للأوثان حتى ينالوا بركة الأصنام قبل الحرب، فرفضوا أن يسجدوا لغير الله، وأعلنوا إيمانهم بالمسيح الرب فذبحهم الوثنيون عن آخرهم. وفى سقف الكنيسة يرى المشاهد كيف قطعت رؤوسهم ولقد اختلطت دماؤهم بنهر (الموزل) Mosel حتى صار جزء من النهر دماً بما انساب إليه من دماء الشهداء الأقباط..

وفى (ترير) أيضا رأينا الكنيسة الكبيرة البازيليكا وهى ترجع إلى القرن الرابع ومن عهد قسطنطين وهيلانة أُمّه. ولا يزال بالكنيسة على الرغم من الترميمات التى حدثت فيها عبر العصور، بعض أجزاء من الأعمدة وآثار، تدل على أقدمية هذه الأعمدة، وآثار المعمودية الأثرية ومكانها فى الزاوية البحرّية الغربية من الكنيسة كما تأمر الدسقولية والقوانين الرسولية، ثم آثار افريز حول المذبح هو بقايا الحجاب (الإيقونوستات - حامل الإيقونات) الذى كانت توضع عليه الإيقونات. وملحق بالكنيسة مبانى دير قديم، لا يقيم فيه الآن رهبان، ولكنهم يستغلّونه فى الوقت الحاضر فى إقامة الكهنة، كما يستعملون بعض غرفاته مخازن للكنيسة العظيمة. ولقد تقابلتُ فى نفس اليوم مع مدير المتحف

المعروف بمتحف الأساقفة، وطفنا معاً أنحاء المتحف، ورأينا فيه مجموعة صور مختلفة، وفى عمق إحدى القاعات رأينا تمثالاً جميلاً للقديس (أنطونيوس) أبى جميع الرهبان بالحجم الطبيعى، وهو متدثر بمنطقة من جلد على حقويه، ويحمل فى يده اليمنى عصا طويلة كان يتوكأ عليها، وتحت قدميه يقف خنزير برّى.

ومما يرويه أهل (ترير) عن التقليد المتواتر المتوارث، أنّ القدّيس أثناسيوس الرَّسولى أثناء وجوده فى (ترير)، كتب سيرة القديس أنطونيوس أبى جميع الرُّهبان باللغة اليونانية فقام (امبروسيوس) Ambrosius الذى صار فيما بعد أسقف (ميلانو) بايطاليا، بنقلها من اليونانية إلى اللاتينية. وقد تأثر أهل (ترير) بحياة القديس أنطونيوس كما رواها أثناسيوس الرَّسولى. ويروون أنّ إثنين من الجند شاهدا خارج المدينة (ترير) رجلاً زاهداً ناسكاً، يقرأ سيرة القديس أنطونيوس باللاتينية وهى الترجمة التى قام بها امبروسيوس - وكان فى ذلك الوقت ابنا لحاكم المدينة - للكتاب الذى كتبه القديس أثناسيوس باللغة اليونانية.

إن قدّيسنا أثناسيوس فى قائمة مجمع الخالدين. اسمه (أثناسيوس أى (خالد)، (لا يموت). ولقد عاش أثناسيوس طبقاً لإسمه.

(لتمت نفسى موتَ الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم) (سفر العدد ٣: ١٠).

أثناسيوس أب جميع المسيحيين*

أيها الأخوة والأبناء غدا وهو اليوم السابع من شهر بشنس، تعيد كنيستنا المجيدة الأرثوذكسية بعيد إنتقال القديس أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان الأرثوذكسى إلى الأخدار السمائية فى سنة ٣٧٣م. فى النصف الثانى من القرن الرابع لميلاد المسيح،وقد ولد فى سنة ٢٩٦م أى فى أواخر القرن الثالث للميلاد.

لسنا نحن فقط بل كل العالم المسيحى يحتفل بعيد القديس أثناسيوس الرسولى، نظرا لأنه يعتبر الأب الروحى لجميع المسيحيين، هذا الرجل بعد كفاح طويل ومرير ونضال ليس له نظير فى التاريخ، كسب المعركة لمجد المسيح، واليوم جميعنا فى الشرق والغرب كلنا، كل المسيحيين يشعرون بدين نحو الرجل الذى بفضل كفاحه، وبفضل وقفته الشجاعة، استطاع أن يحفظ الإيمان وأن يحمى الإيمان من تجربة صعبة مرت بالإيمان المسيحى فى هذا القرن.

لاحظوا أن الكنيسة كانت فى أوائلها، ومما ساعد على شدة التجربة أن الذى تزعم معارضة الإيمان قسيس، رجل دين يسمى أريوس كان من ليبيا ولكنه ظهر فى مدينة الأسكندرية، ولم تكن ثقافته ثقافة اسكندرية، كان لا ينتمى بروحه إلى تعليم مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، أقول هذا لكى نعلن براءتنا ليس من أريوس فقط ولكن من جميع الهراطقة الذين ظهروا فى

* ألقيت بكنيسة العذراء والقديس أثناسيوس الرسولى - بمدينة نصر، في مساء الأثنين ١٤ من مايو ١٩٧٩م - ٦ من بشنس ١٦٩٥ ش.

الخمسة قرون الأولى، براءتنا من أريوس وبراءتنا من مقدونيوس الذى جدف على الروح القدس، وبراءتنا من سابيليوس الذى اعتدى على الثالوث القدوس، وبراءتنا من نسطور الذى أنكر أن تسمى العذراء والدة الإله، وبراءتنا من أوطاخى الذى زعم أن لاهوت المسيح امتص ناسوته فضاع الناسوت فى اللاهوت، وبراءتنا من ثيودوروس النصيصى وديودوروس وغيرهم من أصحاب مدرسة أنطاكية اللاهوتية فى ذلك الوقت.

إن كنيستنا لم تُخرِج المبتدعين والهراطقة الذين ظهروا فى القرون الأولى، وإنما كان رجال كنيستنا - بطول باعهم وعلو كعبهم فى المعركة اللاهوتية - كانوا أساتذة العالم المسيحى فى هذا الوقت، وكانت مدرسة الأسكندرية اللاهوتية المرجع الأعلى لجميع الراغبين فى الدراسات اللاهوتية العليا، حتى أن الذين كانوا يتخرجون من مدارسهم اللاهوتية فى العالم، كانوا لرغبتهم فى الاستزادة بالمعرفة يأتون إلى الأسكندرية ويقضون فيها خمس سنوات إضافية، ليتزودوا بهذه المعارف وبهذه العلوم التى وصل فيها أساتذة المدرسة اللاهوتية إلى أعلى درجة فى ذلك الوقت.

ولعل من بين هؤلاء أصحاب الأسماء اللامعة الكبيرة باسيليوس الكبير، ومن بينهم أيضا يوحنا ذهبى الفم، غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات، وغريغوريوس العجائبى. هؤلاء وأمثالهم كثيرون جدا من رؤساء الكنائس المسيحية فى العالم الخارجى، كانوا يتطلعون إلى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كمرجع أعلى ولذلك كانوا يأتون إلى الأسكندرية ليتزودوا بهذه المعرفة.

وهذا هو السبب فى أن بطاركة الكرسى الأسكندرى فى الخمسة قرون الأولى، التى كانوا عادة يختارون فيها من بين رؤساء المدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية وأساتذتها، هذا هو السبب فى أن البطريرك الأسكندرى كان يتمتع بمكانة لاهوتية علمية روحانية وكان يلقب بقاضى المسكونة، ولازال اللحن الذى يردده الشمامسة فى حضرة البابا البطريرك يحتفظ بهذا اللقب، لقب بابا الأسكندرية بقاضى المسكونة، فى الخمسة القرون الأولى لأنه كان الأستاذ والمعلم الذى يتخرج عليه كبار أساقفة ورؤساء الكنائس فى العالم الخارجى.

شكراً لله أن الهراطقة والمبتدعين لم يتخرجوا من بلادنا، وإنما على العكس من ذلك تماما، أكثر الذين خدموا الإيمان الأرثوذكسى وتمسكوا به ودافعوا عنه، وبرهنوا على سلامة الاعتقاد، كانوا رجال كنيستنا، وكان أثناسيوس واحدا من بين الذين تخرجوا فى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، وكان أريوس فى ذلك الوقت قسيسا مشهورا بفصاحته وبلاغته، ولكنه على الرغم من فصاحته وبلاغته كان تعليمه فى المسيح تعليما منحرفا، وقاومه رجال كنيستنا وكان البطريرك فى ذلك الوقت بطرس خاتم الشهداء، وجاء من بعده أرشلاؤس وجاء من بعده ألكسندروس أو الأسكندر التاسع عشر من بطاركة الأسكندرية وجاء من بعده أثناسيوس.

عاصر أريوس هؤلاء البطاركة الأربعة وكانت نهايته فى عهد أثناسيوس الرسولى، وكان من اللباقة والذكاء المادى البشرى بحيث استطاع أن يضم إليه مايعرف بالشعبية، انضم إليه كثيرون ممن لا فقة لهم ولا يستطيعون أن يوغلوا فى المعارف اللاهوتية، ويدركوا الدقائق ويميزوا بين المعانى، ويدخلوا إلى أعماق المعرفة اللاهوتية، إذ كانوا يتأثرون بالكلمات التى كان يقولها أريوس.

وكان نشيطا يسير فى الشوارع ويؤلف الأناشيد والأغانى التى عرفت بالثاليات فى ذلك الوقت، وكانت هذه الأغانى محشوة بآراء كفرية ضد لاهوت المسيح، شبيهة بالأراء التى يجددها اليوم شهود يهوه.

هذا المذهب الذى ظهر فى السنوات الأخيرة مذهب شهود يهوه، هؤلاء الذين يزعموا أنهم مسيحيون ولكنهم ليس بمسيحيين، يكفى بأنهم سموا أنفسهم شهود يهوه وهو اسم ربنا فى العهد القديم، الاسم الذى يتمسك به اليهود لأن هؤلاء فى الواقع يهود خُلّص، لا تفتكروا أو يخطر لبال أحد منكم أن شهود يهوه مذهب مسيحى. شهود يهوه يحاولوا أنهم يكسبوا المسيحيين، ولكى يكسبوهم يحفظوا بعض من آيات الكتاب المقدس، فيجد شعبنا البسيط أنهم على الباب، ويقولوا بعض من الآيات ليدللوا على أنهم مسيحيين، ولكن الحق الذى نصارحكم به أنهم فى حقيقتهم يهود، فديانتهم هى الديانة اليهودية ولكنهم يتزيوا ويتلبسوا بلباس المسيحية لكى يكسبوا المسيحيين، وهؤلاء أيضا ليسوا يهود عاديين إنما يهود صهاينة أى يؤمنون بالصهيونية، وأن الصهيونية ينبغى أن تسود العالم، وأن اليهود ينبغى أن يحكموا العالم، فهؤلاء أعداء المسيح ولا يؤمنون بمسيحنا وينكرون التثليث المسيحى ويقولون أن التثليث اكذوبة، أنا أقول هذا الكلام وأردده لأن بعض المسيحيين حتى اليوم مخدوعين فى شهود يهوه ويفتكروا أنهم مسيحيين. هؤلاء يهود ويهود صهاينة، أى أعنف نوع من اليهود، وكذلك دعوة الناس الذين يسموا بالسبتيين، وهم أيضا يريدون أن يرجعوا مرة أخرى إلى اليهودية، ويريدون أن نخسر المكاسب التى كسبناها فى المسيح، يريدون أن يبعدونا عن فخر ديانتنا وهى قيامة المسيح، يريدون أن يعودوا إلى السبت القديم ولذلك لا شهود يهوه ولا السبتيون يعتبرون

مسيحيين، حتى أن مجلس الكنائس العالمى رفض عضوية السبتيين وشهود يهوه، لأن اليقينية الكاملة أن هؤلاء يهود وليسوا مسيحيين، وشهود يهوه بالذات يسموهم فى الغرب الأريوسية الجديدة، لأنهم يريدون أن يعودوا بآراء أريوس الذى أنكر لاهوت المسيح وأنكر أزلية المسيح وأنه كائن مع الآب منذ الأزل، أريوس أنكر هذا وشهود يهوه اليوم يعودوا إلى الأراء الأريوسية ويدعوا إلى الأراء الأريوسية، بعد هذه القرون الطويلة من كفاح الكنيسة، يريد شهود يهوه أن يعودوا من جديد إلى أراء أريوس القديمة، ويقولون أن أريوس على حق وأثناسيوس على باطل. العالم كله يحنى هامته لهذا الرجل الذى كافح كفاح الأبطال فى سبيل أن يصون الإيمان، وتحمل من الآلام والدموع والإضطهادات والأوجاع، ضغطت عليه الدولة بكل جحافلها واليهود أيضا وكانوا جالية كبيرة فى مدينة الأسكندرية. قاوموه وكانوا من ضمن عناصر المقاومة لأثناسيوس فى الأسكندرية، لأنهم ينكرون لاهوت المسيح وينكرون التثليث ويريدون أن يعودوا إلى اليهودية المتحجرة كما كان يعلم بها الفريسيون فى ذلك الوقت.

فاليهود كانوا قوة فى ذلك الوقت انضموا إلى أريوس أو أنضم أريوس إليهم، ليكونوا جماعة مناوءة ومقاومة ومعارضة للإيمان المسيحى المسلم لنا من المسيح، لا تنسوا أن لاهوت المسيح هو الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة.

قال المسيح على هذه الصخرة ابنى كنيستى، ماهى الصخرة؟ هى الإيمان بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى، وهو الاعتراف الذى قاله مار بطرس الرسول «أنت هو المسيح ابن الله الحى».

وكذلك يوحنا الرسول فى نهاية إنجيله، وبعد أن أورد على الخصوص المعجزات التى تبرهن على لاهوت المسيح كمعجزة شفاء المولود أعمى، ومعجزة إقامة لعازر من بين الأموات، ومعجزات شفاء المفلوج التى يقرر فيها المسيح أن له السلطان على أن يغفر الخطايا، وهو السلطان الذى ليس لأحد من البشر بل لله وحده. بعد كل هذا الاستعراض يختم يوحنا الرسول إنجيله قائلاً «وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع لم تكتب فى هذا الكتاب وإنما هذه قد كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح إبن الله الحى ولكى تكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه»(١) إذا الهدف من هذا الإنجيل كله هو هذه الحقيقة أن يسوع الصورة المنظورة لله، من هو يسوع؟ هو المسيح بالألف واللام، المسيح إبن الله الحى، ولكى تكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه. ابن الله الحى، ماذا تعنى الحى؟ تعنى مثل ماقال يوحنا فى سفر الرؤيا «أنا هو الأول والآخر أنا البداية وأنا النهاية أنا الألف وأنا الياء»(٢) أى أنا كل شىء، «أنا الحى وكنت ميتا وها أنا حى إلى أبد الآبدين»(٣)، أنا الحى وكنت ميتا أى ذقت الموت، إذن الذى يتكلم هنا المسيح، لأن الميت لا يمكن إذا طُعن أن ينزل منه دم وماء، لأن الدم يتجمد فى العروق، لذلك عندما يريد الطبيب أن يتأكد من واحد مشرف على الموت ليتأكد إذا كان قد مات أو لا. يغرز فى جسمه دبوس ابره، فإذا خرج الدبوس فيه دم يكون مازال حى، وإذا خرج الدبوس بدون دم يقول البقية فى حياتكم.

أما كون المسيح بعد أن مات يطعنه قائد المائة فى جنبه الأيمن فينبثق من جنبه دم وماء، الكلمة الأصلية فى اللغات القديمة ليست فقط خرج ماء ودم بل

---

(١) يو ٢١ : ٢٥ ، ١. يو ٥ : ١٣ . (٢) رؤ ١ : ١٧. (٣) رؤ ١ : ١٨.

تفيد إنبثاق الدم والماء، إذن كيف يخرج من جنبه دم وماء منفصلين مالم يكن حيا، إذن هو الميت الحي، ميت بانفصال الروح الإنسانية عن الجسد ولكنه حى باللاهوت المتحد بكل من الروح والجسد. وعلى ذلك فبالروح الإنسانية المتحدة باللاهوت نزل المسيح إلى العالم السفلى إلى الجحيم واقتحم الجحيم، والحوار اللى تسمعوه ليلة عيد القيامة، الهيكل يغلق والأنوار تطفىء لماذا هذا؟ الكنيسة تقدم وسيلة إيضاح كمعلم يريد أن يشرح درس، ووسيلة الإيضاح أن هذا الظلام يمثل حالة الأرواح التى تحت الأرض فى الجحيم فى العالم السفلى، يمثل الجالسين فى الظلمة وظلال الموت. والباب المُغلَق يشير إلى الأبواب الحصينة أبواب العالم السفلى التى كانت مُغلَقة على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت. ثم يأتى الحوار افتحوا أيها الملوك أبوابكم. من الذى يقول ذلك؟ الملائكة المصاحبين لرب المجد عندما نزل إلى الجحيم، ليخاطبوا الملائكة حراس العالم السفلى، افتحوا أيها الملوك أبوابكم فيدخل ملك المجد، وهم يقولون من هو ملك المجد؟ يقولون الرب القوى القادر فى الحروب. ثم يكسر الباب وفى هذا ما أنبأ به سفر المزامير وما أنبأ به سفر إشعياء عن المسيح، حينما نزل إلى العالم السفلى سبى سبيا، وأبوابه النحاس ومغاليقه الحديد هى رمز المناعة ورمز القوة ولذلك يفتح الباب بعنف ليشير إلى الكسر، وهذا ماورد فى نفس الترنيمة التى يرتلها الشمامسة «يا كل الصفوف السمائيين» وهى مأخوذة كلماتها من سفر المزامير ومن سفر إشعياء النبى، ثم يفتح النور للإشارة أن المسيح أشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت؟ كما يقولوا الأنبياء وهذا هو السبب أن سبت النور على الرغم من أنه السبت الكبير الذى تأمر الكنيسة فيه أن يُصام، ويعتبر

السبت الحزين لأن المسيح كان فيه فى القبر، ويقول الآباء الرسل فى الدسقولية «صوموا يومى الجمعة والسبت كما صمنا نحن لما أخذوه منا» ولماذا هذا السبت يسمى سبت النور؟ لأن المسيح نزل إلى الجحيم وأشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت نسميه سبت الفرح «أبوكم ابراهيم اشتهى متهللا أن يرى يومى هذا فرأى وفرح»(١) فهناك فرح فى العالم السفلى وهناك نور أشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت، وهذا هو السبب أنه يسمى سبت النور وسبت الفرح.

إذن المسيح لم يكن ميتا بالمعنى المفهوم من كلمة الموت، موت المسيح معناه إنفصال بين الروح الإنسانية والجسد فى الناسوت، أما اللاهوت فلا يموت، وبهذا السبب نحن نقول قدوس الله قدوس القوى قدوس الذى لا يموت، هذا هو معنى الحي «أنا الحي وكنت ميتا وها أنا حى إلى أبد الآبدين»(٢).

وهذا هو السبب لماذا فى ثانى يوم عيد القيامة نأكل البيض الملون، من أين جاء هذا التقليد؟ هذا التقليد جاء من أوائل المسيحية حينما ذهبت مريم المجدلية إلى روما، وشرحت لطيباريوس قيصر كيف أن المسيح حكم عليه ظلم، ومع ذلك بعد أن قبر فى اليوم الثالث قام، كيف أن المسيح قام على الرغم من أنه دفن وأنه وضع حجر على القبر وختم بالأختام، ولم يقف أحد على قبره ليقيمه كما وقف هو على قبر لعازر وأمر لعازر بأن يقوم، كيف قام إذن؟ واحد ميت والميت لا حياة له كيف يقدر على أن يقيم ذاته، الحياة قبل القدرة أنا أولا أكون حى وبعد ذلك أقدر، من أين تأتى القدرة للميت؟ إذن هذا

---

(١) يو ٨ : ٥٦ .

(٢) رؤ ١ : ١٨.

الميت لم يكن ميتا مادام قد قام بقوته ولم يقمه أحد فقد كان حيا، إذن هذا هو الميت الحى، ميت فقط بانفصال عنصرى الناسوت، بين الروح الإنسانية والجسد الإنسانى كما يموت أى أنسان، إنما لاهوته لا يموت وكان متحدا بكل من الروح والجسد، فالروح متحدة باللاهوت نزلت إلى الجحيم وبشرت الأرواح المسجونة المحبوسة وأطلقتها، نزل إلى أقسام الأرض السفلى، سبى سبيا وأعطى الناس عطايا كما يقول الرسول بولس، ووفى بوعده للص اليمين «اليوم تكون معى فى الفردوس»(١) ولذلك فتح الفردوس بقيامة المسيح، ولذلك أبائنا نقلوا عيد شم النسيم وهو عيد الربيع، عيد الطبيعة وليس عيد دينى، نقلوه ليجعلوه اليوم الثانى لعيد القيامة ليشيروا بهذا إلى فتح الفردوس الذى كان مغلقا فى وجه الإنسان.

فالمسيح بقدرته وفَّى بوعده «اليوم تكون معى فى الفردوس» نقل آدم وبنيه الذين كانوا ينظرون المواعيد من بعيد وحييوها وصدقوها كما يقول الرسول، هؤلاء المؤمنون حينما رأوه آمنوا وسجدوا، ومن فرحتهم كما يقول متى الرسول قام كثير من أجساد الراقدين وظهروا فى المدينة المقدسة لكثيرين.

إذن لم يكن المسيح ميتا، لذلك يقول «أنا الحى وكنت ميتا وها أنا حى إلى أبد الآبدين» ونحن نقول «يامن ذاق الموت بالجسد» ذاق الموت، إنما لم يمت، لاهوته لا يموت، قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت. أنت هو المسيح ابن الله الحى، أنا الحى وكنت ميتا وها أنا حى إلى أبد الآبدين، هذا هو مسيحنا، وهذا هو الذى دافع عن لاهوته القديس أثناسيوس الرسولى دفاع

---

(١) لو ٢٣ : ٤٣.

الأبطال، فى وقت كانت الكنيسة لا تزال فى طفولتها، وكان الناس فى طفولة الإيمان. وفى نفس الوقت أحاطت بالقديس أثناسيوس الرسولى ظروف صعبة، منها أن الموضوع نفسه صعب، إذا كان حتى اليوم يوجد بعض المسيحيين يتكلموا بطريقة يفهم منها أنهم غير قادرين أن يفهموا إيمانهم. إذن ما بالك فى القرن الرابع للميلاد.

الأمر الثانى كما قلنا أنه كانت توجد جالية يهودية ضخمة فى مصر، وهذه الجالية اليهودية كان لها نفوذ حتى على البنوك، فى عهد البطالمة وفى عهود الرومان كان لليهود نفوذ، بالإضافة إلى هذا كانت الوثنية لا تزال قائمة فى بلادنا، وحتى أنظمة الدولة كانت لاتزال فى عهد قسطنطين لم تتطهر بعد من الوثنية، وفى الوقت الذى فيه كان أثناسيوس الرسولى يشرح عقيدة الإيمان بالمسيح، لم يكن كل شعبنا مسيحيا وإنما كان لايزال قسم كبير وخصوصا فى الصعيد لازال وثنيا، لأن شعبنا شعب متدين وليس من السهل أن الشعب ينتقل كله من الوثنية إلى المسيحية نقلا جماعيا. فكانت هناك ظروف متعبة لأثناسيوس الرسولى، بالأضافة إلى أن الدولة البيزنطية يهمها الأمن، والأمن يقتضى دائما أن الدولة تكون إلى جانب الغالبية ضد الأقلية، فكانت هناك غالبية وهذه الغالبية كانت ضد الإيمان المسيحى الأرثوذكسى كما عبر عنه القديس أثناسيوس الرسولى، من أجل كل ذلك كانت الصعوبة الكبيرة أمام أثناسيوس أن يتمسك بإيمانه، ولما بدأ بعض الناس يثيروا الإمبراطور ضد أثناسيوس ويقولوا أنه رجل عنيد، وأيضا وشوا به أنه يريد أن يمنع وصول القمح إلى الإمبراطورية البيزنطية، وكانت الدولة البيزنطية تعتمد على القمح من مصر، فكانت هذه نقطة وشاية وجدت إذنا صاغية من الإمبراطور

قسطنطين، ولذلك لاتعجب إذا كنا نرى أن قسطنطين نفى أثناسيوس، نفاه أول مانفاه إلى ألمانيا، ثم كان يرجع وينفى، خمس مرات نفى أثناسيوس بعيدا عن كرسيه بسلطان الآباطرة البيزنطيين، لدرجة أن أثناسيوس أصبحت نفسه مرة من كثره الضغط عليه، حتى الإمبراطور قسطنطين الذى شد على يد أثناسيوس عندما كان شماسا بعد مجمع نقية وقال له «أنت بطل كنيسة الله» عندما برز أثناسيوس لحجته القوية واستطاع أن يفحم أريوس، وبهذا كسب موقف المجمع كله ضدا للبدعة الأريوسية، وتقرر فى هذا المجمع قانون الإيمان النيقاوى الذى نتلوه، لسنا نحن فقط بل كل العالم شرقا وغربا، قانون الإيمان الذى كتبه أثناسيوس عندما ألف المجمع لجنة من ثلاثة رجال ليضعوا صيغة الإيمان، كان فيهم ألكسندروس بابا الأسكندرية وكان شيخا وكان أيضا الشماس أثناسيوس، فالواقع أن أثناسيوس كان من الشخصيات الكبيرة على الرغم من أنه كان شماسا فى ذلك الوقت، وقد اعترض عدد من أساقفة المجمع على وجود أثناسيوس لأنه شماس، كيف يوجد بين الأساقفة، لكن البابا ألكسندروس قال لهم أنا رجل شيخ وهذا عمدتى اعتمد عليه فلا أستطيع أن أكون فى غنى عنه، ولما كانت شخصية البابا ألكسندروس شخصية جليلة محترمة فى المجمع، لذلك وافق الآباء على وجود أثناسيوس وهو شماس، هذا الشماس الذى وضع صيغة قانون الإيمان الذى يحترمها العالم كله فى مجمع نيقية، عندما رأى قسطنطين بطولة أثناسيوس وقوة حجته، شدّ على يده، وقال له «أنت بطل كنيسة الله»، قسطنطين هذا هو الذى قال لأثناسيوس أنت بطل كنيسة الله هو الذى نفاه عندما صار أثناسيوس بطريركا، كان أول نفى له إلى ألمانيا إلى مدينة اسمها ترير، وقضى فيها مدة سنتين، بسبب وشايات الأريوسيين ضد أثناسيوس أنه مقاوم للإمبراطور ولا يحبه، وأنه يرفض إرسال

القمح، ويثير المسيحيين ضده، وأنه كبطريرك فى مصر شأنه شأن الملوك فعندما يأمر الشعب كله يخضع له، وبهذه الأساليب أثاروا الإمبراطور قسطنطين، لدرجة أن قسطنطين سافر له أثناسيوس لكى يقابله ليشرح له الأمور التى تعقدت فى ذهنه، فرفض قسطنطين أن يقابل أثناسيوس واضطر أثناسيوس مقابلته فى الشارع، كانت المركبة الملكية تسير فجاء أثناسيوس ووقف أمام الخيل فكاد أن يدوسه ثم أوقف الخيل فقال له من أنت؟ ولماذا تصنع ذلك؟ قال له أنا أثناسيوس، أنت رافض أن تقابلنى ولا يوجد طريقة أخرى أقابلك بها، ففى هذه الحالة وافق قسطنطين أن يذهب معه إلى بيته وشرح له هذه الوشايات وحقيقة الأمر.

لذلك نقول أن هذا الرجل احتمل من الدولة، على الرغم من أن قسطنطين كان أول ملك مسيحى، ودائما يذكر فى الكتب أنه الرجل الذى جعل المسيحية ديانة رسمية، هذا الرجل بعينه هو الذى اضطهد أثناسيوس، ولا شك هناك بعض العذر لقسطنطين لأنه كان يريد أن يحمى الأمن فلابد أن ينضم للأغلبية على حساب الأقلية لكى يستقر الأمن فى البلاد. المهم أن أثناسيوس احتمل الكثير من الآلام والأوجاع من نواحى مختلفة من اليهود، من الوثنيين، من الدولة وأيضا من الشعب، كثيرين من الناس يتعبوا من المقاومات والمعارضات. حتى قالوا له : هذا العالم كله أصبح ضدك، ومن هنا عرف بأثناسيوس المعارض للعالم أو أثناسيوس المعارض والمضاد للعالم، فقال و «أنا بنعمة إلهى ضد العالم».

كل هذه المواقف الجبارة المهولة من أجل من؟ ليس من السهل على أثناسيوس أبدا أنه يقف الموقف الصعب هذا ويعادى هؤلاء الناس جميعا، يعادى نظام الدولة ويعادى اليهود ويعادى الوثنيين، من فينا يرضى لنفسه أنه يكون

فى هذا الوضع، ولكن حبه للإيمان وأمانته للإيمان باعتبار أن البطريرك هو الحارس الأول للإيمان، يموت على إيمانه أفضل له ألف مرة من أنه يكسب رضى الناس أو يكسب رضى الدولة أو يكسب الهدوء والسلام لنفسه وعدم المقاومة له.

لا أريد أن نتكلم كثيرا ولكن يكفى هذه الكلمة ولكن ما أرجوه فى نهاية هذه الكلمة أننا نقدر بأرواحنا وبقلوبنا هذه الخدمة الجزيلة، التى أداها لنا هذا الرجل.

إن أثناسيوس بمواقفه من جهة، وبكتاباته أيضا من جهة أخرى، ترك للكنيسة تراثا ثمينا، لدرجة أن القديس غريغوريوس الثيئولوغوس يقول: «إذا وجدت كلاما لأثناسيوس ولم تجد ورقا اكتبه على ثيابك». الحق أن هذا الرجل الذى تعب هذا التعب كله كان رجلا سليما، كان رجلا أمينا، وكان أيضا فى تعبيراته الإيمانية دقيقا غاية الدقة فلم يخطأ فى التعليم، ولذلك كل ما كتبه أثناسيوس، جميع كتاباته كلها سليمة، وجميعنا نتتلمذ على أثناسيوس، وكل المسيحيين فى العالم يعتبرونه الأب الروحى لكل المسيحيين، بل بعض المؤرخين يقول أنه مؤسس المسيحية الثانى بعد المسيح، لأن المسيحية كادت تنتهى لولا هذا الرأس العنيد القوى، الذى استطاع أن يقف ضد جحافل الظلمة، وضد المقاومات المتعبة واستطاع بإيمانه وبقوة حجته أن يناضل وأن يكافح وأن يستمر وأن يحمل راية الإيمان ولا يسقطها من يده، إلى أن تم النصر للكنيسة وإلى أن شاء الله تعالى أن يموت أريوس ميتة شنيعة، لقد أصدر الأمبراطور أمرا إلى أسقف القسطنطينية أن يقبل أريوس فى الكنيسة، وكان الأمر مشددا أنه إذا لم يفعل فإنه سينفى، وكان أسقف القسطنطينية متفاهما مع أثناسيوس ومؤيدا له فماذا يصنع؟، عكف على الصلاة والعبادة وهو فى حزن شديد وبكاء ماذا يصنع؟ وأما أريوس وأتباعه فظلوا فى العشية يجوبون المدينة

ويرتلون وينشدون، ويقولون النصر تحقق وغدا ندخل الكنيسة، تصوروا قضاء الله أن أريوس يحدث له نوع من المغص العنيف وهو يسير فى الشارع مع أصدقائه وأتباعه وأعدادهم بالألوف، وفى المظاهرة الكبيرة يحدث له هذا المغص العنيف، فيختلى فى مكان خلاء فتندلق أمعاؤه، فمات قبل أن يدخل الكنيسة، وبهذا انتهت الأريوسية، ولو أن شهود يهوه يجددوها اليوم، إنما هذا هو قضاء الله.

وللعلم أن أحد البطاركة وهو بطرس خاتم الشهداء السابع عشر رأى رؤيا، رأى المسيح فى شكل طفل ابن ١٢ سنة، ورأى ثوبه مشقوقا، فصرخ قائلاً: من الذى شق ثيابك يارب»؟ فقال له أريوس لا تقبله فى الكنيسة، هذا معناه أن أريوس شق الكنيسة، فاستدعى البطريرك بطرس خاتم الشهداء إثنين من القساوسة الذين جاءوا بعده أرشيلاوس البطريرك الثامن عشر وألكسندروس التاسع عشر وقال لهم أن لا تقبلوا أريوس وقص عليهم الرؤيا وقال لهم أنتما ستجيئا بعدى فلا تقبلوه. وفى أيام ألكسندروس عقد مجمع نيقية ثم جاء بعده أثناسيوس الرسولى.

انتهت البدعة الأريوسية بتدخل إلهى، شاء الله أن يقضى على حياة هذا الإنسان حتى لاتضار الكنيسة، حقا أن الله يمهل حتى يمتحن الإيمان مثل ما يقول الرسول «لابد أن يكون بينكم بدع ليكون المزكون ظاهرين» فهى فرصة إمتحان، ليرى الله من يثبت على الإيمان ومن يرتد، لكن لو ربنا تدخل بسرعة لأظهر المؤمن الثابت من غير الثابت. نعمة ربنا يسوع المسيح تشملنا جميعا وربنا يحفظنا بشفاعة القديسة العذراء مريم وسؤالات القديس العظيم بين القديسين أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان الأرثوذكسى ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

أثناسيوس الحارس الأمين للإيمان(*)

شرفا وبركة أن أقبل هذه الدعوة الكريمة من أخى صاحب النيافة الحبر الجليل جزيل الاحترام الأنبا أثناسيوس (١)، الذى تبارك هو أيضا بهذا الاسم العظيم أثناسيوس الخالد الذى لا يموت، وأن أكون بينكم الأن على غير موعد، وما أحلى وما أجمل أخبار القديسين، وكما يقول بعض الآباء القديسين «إن من يكرم أثناسيوس فقد أكرم الفضيلة نفسها» وهذه نظرة كنيستنا واحترامها وإكرامها للقديسين، فإننا لا نعبد أشخاص وإنما نعبد الله وحده، وإنما نكرم الفضيلة فى القديسين إحياءً لذكرهم، وهذا هو أمر مخلصنا الذى قال عن المرأة التى دهنت رأسه بالطيب مريم أخت لعازر، «حيثما يكرز بالإنجيل فى الخليقة كلها يخبر أيضا بما فعلته هذه المرأة إحياءً لذكرها» (٢).

فنحن باحتفالنا بالقديسين نتمم أمر مخلصنا الذى أمر بأن يخبر بأفعالهم، وهذا ما تلاحظونه حينما يتلو الكاهن أسماء مجمع القديسين، فإنه يقول «لأن هذا هو أمر مخلصنا أن نذكر القديسين» بناء على هذا الأمر الذى ذكره سيدنا فى مناسبة المرأة التى دهنت رأسه بالطيب، ثم أن فى إحياء ذكر القديسين إحياء للفضيلة نفسها. فالناس لا يفهمون الدين بعيدا عن الأشخاص وإنما المبادىء الدينية تتمثل فى أشخاص يدركونها فى حياتهم.

(*) ألقيت بكنيسة السيدة العذراء بمطرانية بنى سويف - يوم الجمعة ١٤/٣/١٩٧٦م.

(١) المتنيح الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف السابق.

(٢) مت ٢٦ : ١٣.

فالقديس أثناسيوس من أروع الأمثلة التى شاعت فى التاريخ المسيحى، والتى برز فيها فضائل كثيرة أهمها قداسته، والقداسة فى مفهومنا الأرثوذكسى هى قداسة فى الإيمان وقداسة فى السيرة. وقداسة الإيمان سلامة العقيدة وخلوها من الخطأ واستمساك الإنسان بالحقائق الإيمانية.

ودفاعه عنها وتمسكه بها لمحافظته عليها كوديعة، يخدمها لأنه انعقدت عليها نفسه، لايفرط فيها لأنه وكيل مؤتمن على وديعة، ياتيموثاؤس «احفظ الوديعة بالروح القدس الساكن فيك» (١).

فوديعة الإيمان هذه ليست لنا، لا نتساهل فيها ولا نتسامح، التسامح فى الحق الخاص، أما التسامح فى الإيمان فخيانة وعدم أمانة وتفريط وإهمال فى المقدسات. وذلك له دينونة مخيفة ورهيبة ومرعبة. خصوصا بالنسبة للوكلاء. من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده؟ هى وكالة، رجل الدين ليس صاحب الوكالة، رجل الدين وكيلاً على أمانة ليس من حقه أن يفرط فيها ولايتنازل عن شىء منها، هذا تساهلاً على حساب الله وعلى حساب الإيمان. هكذا كان الآباء العظماء يفهمون رسالتهم أنها رسالة الوكيل الأمين. ولذلك حينما يسأل فى اليوم الأخير «أعطى حساب وكالتك»، يكون حسابه دقيقا وحسابه عسيرا لأنه وكيل مؤتمن. فإذا برزت أمانته سمع التعبير الجميل والمديح الثمين والشهادة التى هى أعظم شهادة، لأنها شهادة الله «كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير» (٢) أحسنت أيها العبد الصالح والأمين،

---

(١) ٢. تيمو ١: ١٤.

(٢) مت ٢٥: ٢٣.

صالح لأنه أثبت صلاحيته لمهمته، هنا الصلاح بهذا المعنى، صالح لأنه أثبت صلاحيته بالمهمة التى أوكلت إليه، صالح وأمين. والأمانه ضد الخيانة، صالح وأمين هذا هو المدح الذى تلقاه ذلك العبد «أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير»، فالأمانة مطلوبة منا جميعا. وفى سفر الرؤيا يقول المسيح له المجد «كن أمينا حتى الممات فأعطيك إكليل الحياة» (١) هذه هى الأمانة المطلوبة من العبد خادم سيده، لأن رجل الله الحق خادم لسيده. رجل الدين خادم الله أولا قبل أن يكون خادم الشعب، رجل الدين إذا تحول إلى خادم للشعب فقد تحول من طرف خفى إلى زعيم، وليس هذا هو المفهوم الأصيل لمهمة رجل الدين، إن رجل الدين يفهم رسالته يعرف أنه خادم لسيده، حيث يكون سيده يكون هو، حتى لو جاء وقت كان فيه هذا الرجل ضد الشعب، إذا كان الشعب ضد الله، فرجل الدين يكون فى جهه الله، فرجل الدين هو خادم للشعب من خلال خدمته لله، لكن هو خادم الله أولا، لأنه قد تأتى مواقف فيها يقف رجل الله ضد الشعب، فإذا كان الشعب واقفا ضد السيد فلابد أن يقف أثناسيوس ضده، هذا هو أثناسيوس الرجل الذى كان خادما لسيده ولم يعرف سيدا آخر، لأنه سمع كلمة المسيح إلى تلاميذه: «أن سيدكم واحد هو المسيح». ليس له سيد آخر، لا يأخذ أمره من إنسان آخر، أنه يأخذه من سيده، وليس له سادة كثيرين هو سيد واحد، ويكون هو حيث يكون سيده، فى الجانب الذى يكون فيه سيده لأنه خادم. وجاءت المواقف التى فيها تعرض أثناسيوس لهذه التجربة الإلهية.

---

(١) رؤ٢: ١٠.

كان فى القرن الرابع من الميلاد، وفى القرن الرابع من الميلاد كانت لا تزال الغالبية فى مصر غالبية وثنية، ومعنى أنها غالبية وثنية أنها لا تقر الإتجاه الذى كان يدافع عنه أثناسيوس، كان أثناسيوس يدافع عن أزلية المسيح وأن المسيح قائم من حيث لاهوته مع الآب والروح القدس فى جوهر إلهى واحد منذ الأزل وإلى الأبد، المسيح موجود قبل التجسد، قبل أن يولد من مريم، قبل جميع الأجيال والدهور، منذ الأزل. «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. العالم به كون»، هو الذى كون العالم، فيه رسالة الحياة، هو رب الحياة ورئيس الحياة ومبدء الحياة وباعث الحياة. قال عنه يوحنا «كان قبلى وصار قدامى» (١) كان قبلى لأنه كان قائم منذ الأزل. ولما قال المسيح لليهود «أبوكم ابراهيم أشتهى متهللا أن يرى يومى فرأى وفرح» (٢)، قالوا له أنت لم تصل بعد خمسين سنة كيف رآك ابراهيم، قال لهم: «الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (٣)، وهنا كلمة كائن بها رنين «الكائن الذى كان الدائم إلى الأبد» كما فى سفر الرؤيا. أنا الكائن والذى كان منذ الأزل والدائم إلى الأبد، وهذا هو معنى كلمة يهوه، يهوه بالعبرانية هو الاسم الخاص لله معناه الدائم. يهوه من فعل الكينونة أهية بمعنى الذى يكون دائم، الذى هو دائما كائن، دائما فى الزمن الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل، هو دائم، هو كائن ديمومة دائمة ومعناه حرفيا «الدائم» الله وحده الدائم، والمسيح نسب إلى نفسه الكائن دائما: قبل أن يكون إبراهيم أنا

---

(١) يو ١: ١٥.
(٢) يو ٨: ٥٦.
(٣) يو ٨: ٥٨.

كائن «أنا القيامة وأنا الحياة» (١) مَنْ مِنَ الناس يجرؤ على أن يقول على نفسه أنه القيامة وأنه الحياة. هل يجرؤ نبى ويقول أنا الحياة، هل يجرؤ أحد من البشر أو من الملائكة، أى كائن من كان يجرؤ أن ينسب إلى نفسه أنه هو الحياة إلا المسيح.

ولما سألته المرأة السامرية وقالت له كيف تطلب منى لتشرب؟ قال لها يا إمرأة «لو علمتى عطيه الله ومن هذا الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبتى منه أنت فأعطاك ماء الحياة» (٢) ماء ينبع إلى حياة أبدية، من هذا الذى يملك الحياة إلى الأبد وأن يعطى حياة إلى الأبد، إلا إذا كان هو ذاته الحياة وهو ذاته الأبد. ومن هذا الذى يجرؤ أن يقول ليوحنا فى سفر الرؤيا «أنا هو الألف والياء، أنا البداءة وأنا النهاية، أنا الأول وأنا الأخر» (٣) هذه بعينها الكلمات التى رددها الرب فى العهد القديم على فم إشعياء فقال: «أنا هو الأول وأنا الآخر لا يكون قبلى إله ولا يكون بعدى إله» (٤) من هذا الذى يقول: «أنا الواحد الأحد... أنا الذى لى مفاتيح الهاوية والموت» (٥) من هذا؟...

والجماهير كانت متحيرة حينما كان على الأرض، تحيروا وقالوا من هذا الذى الريح والبحر أيضا يطيعانه من هذا؟ من هذا الذى يخرج الشياطين بسلطان؟ من هذا الذى ينتهر الحمى ويكلم الحمى ويزجر الحمى، لم يصلى ويركع ويترجى كما كان يفعل الآباء الرسل، إنما انتهر الحمى زجر الحمى، هل

---

(١) يو ١١: ٢٥. (٢) يو ٤: ١٠. (٣) رؤ ١: ١٧.
(٤) اش ٤٤: ٦. (٥) رؤ ٩: ١٨.

رأت البشرية نبيا من قبل يصنع هذا إذن من هذا؟... هذه كانت رسالة أثناسيوس إيضاح حقيقة المسيح وأنه كان قبل الزمان، قبل أن يولد من مريم كان فى الأزل.

لم يكن ميلاده من مريم إلا تجسدا، لكنه ليس ميلاد كما يولد البشر حيث يبدأون فى فترة من الزمن، وهذا هو السبب أن فرحنا فى عيد القيامة يعظم عن عيد الميلاد، عيد الميلاد نسميه العيد الصغير وعيد القيامة العيد الكبير، لا لأنه ينتهى بالصوم الكبير؟ لا... لأنه لولا القيامة لما كان الميلاد.

آباء الكنيسة كانوا مترددين فى أن يكون للمسيح عيد الميلاد، ولولا هرطقه الذين أنكروا التجسد من أمثال الغنوطيين لما كانت الكنيسة تقيم عيد الميلاد، ولذلك فى ليلة عيد الميلاد إنجيل باكر فى البدء كان الكلمة... والكلمة صار جسدا وحل بيننا. وإنجيل القداس فى ليلة عيد الميلاد: وإذا مجوس أتوا من المشرق يقولون أين هو المولود ملك اليهود؟ الغريب أن فى ليلة عيد الميلاد كنيستنا لا تقرأ قصة ميلاد المسيح ولا قصة الرعاة، هذه تقرأ فى البرمون. إنما فى ليلة عيد الميلاد، فى رفع بخور باكر يقرأ «والكلمة صار جسدا» وفى إنجيل القداس «وإذا مجوس أتوا من المشرق وقالوا أين هو المولود ملك اليهود». حكمة الكنيسة أنها لا تريد من أولادها أن يتصوروا أن فى هذه الليلة وجد المسيح بمعنى نشأ المسيح. «والكلمة صار جسداً» ليس بمعنى أن ميلاد المسيح كميلاد واحد من البشر لا.. ميلاد المسيح معناه تجسد المسيح. أنه اتَّخذ جسدا، إنما المسيح كما قال أثناسيوس «كان ولم يزل إلها» هو إله منذ الأزل، ولكن فى الزمان اتخذ له جسدا، استتر فى جسد، احتجب فى جسد، لكن المسيح لم يبدأ

من مريم حاشا، وإذا كنا نقول عن مريم أنها والدة الإله من حيث أن الذى خرج من أحشائها الإله المتجسد، إنما المسيح لم يبدأ من مريم، المسيح سابق فى وجوده على كل الوجود وعلى كل الخليقة، فى البدء منذ الأزل. وكم من مرة يقول المسيح له المجد «مجدنى عندك أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم» (١) ويقول: «من عند الآب خرجت وإلى الآب أمضى» (٢) ليس من عند مريم، لا.... أنا قبل ذلك بكثير، من عند الآب خرجت. وفى مرة ثانية يقول: «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، ليس كما أكل أباؤكم المن فى البرية وماتوا» (٣)، المسيح من السماء نزل لأنه كان موجود فى السماء.

وفى مرة ثانية يقول: «ما من أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، إبن الإنسان الذى هو فى السماء» (٤). لم يصعد أحد فوق سماء السموات من البشر أبدا إلا واحد. وهو على الأرض، وهو على حجر مريم كان جالسا على العرش، وهو يرضع اللبن كان يدبر شئون الكون والمسكونة. هذا هو المعنى الذى دافع عنه أثناسيوس، ولكن هذا المعنى كان صعبا لم يستطع الناس بسهولة أن يقبلوا دفاع أثناسيوس، ولذلك قاوموه وكانت مقاومته شنيعة.

كان قسيسا لا ينتمى بروحه إلى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، فمدرسة الأسكندرية اللاهوتية لم تخرج هراطقة أبدا، إنما كان أريوس من أصل ليبى تخرج من المدرسة الأنطاكية التى خَرَجَتْ جميع الهراطقة الذين عرفناهم فى

---

(١) يو١٧: ٥.
(٢) يو١٦: ٢٨.
(٣) يو٦: ٤١، ٤٩.
(٤) يو٣: ١٣.

الخمسة القرون الأولى من أريوس إلى مقدونيوس إلى نسطور إلى أوطاخى، كل هؤلاء خرجوا من مدرسة أنطاكية اللاهوتية، ولم يتخرج من مدرسة الأسكندرية اللاهوتية أحدا ممن انحرفوا عن الإيمان الأرثوذكسى. فأريوس غريب وإذ كان قسيسا ظهر فى الأسكندرية لكن مراجعه لم تكن أرثوذكسية ولا من كنيسة الأسكندرية، رجل ليبى تتلمذ روحيا ولاهوتيا على لوسيانوس مؤسس مدرسة إنطاكية. أريوس لم يأتى بجديد. قال أثناسيوس: إن أراء أريوس كانت أراء وثنية لأنها أراء الأفلاطونية المحدثة التى نادى بها أفلوطين، والذى اخترع فكرة مؤداها أن هناك كائن متوسط بين الله والناس، لأن الله أشرف من أن يخلق البشر، فخلق كائن متوسط يخلق به الناس، هذا الكائن المتوسط مخلوق فى نظر الأفلاطونية الجديدة ولذلك الأريوسيه ليست مسيحية، وإنما الأريوسية مبدأ وثنى أخذه أريوس من الأفلاطونية الجديدة وألبسه لباسا مسيحيا، وساق آيات الكتاب المقدس التى أولها تأويلا خاطئا فى تفسير هذه النظرية، وهذا بالضبط حكمنا اليوم على شهود يهوه، شهود يهوه هم الأريوسية الجديدة، لأنهم يضيفوا إلى أفكارهم فى لاهوت المسيح، الكفر بالآخره فهم لا يؤمنون بالآخره. شهود يهوه مبدأ صهيونى يهودى هم الأريوسية الجديدة.

أخذت الأريوسية فى القرن الرابع تمتد، ووجدت لها سندا، لأن الوثنية كانت فى مصر هى الأكثرية ولم تكن المسيحية قد وصلت عدديا إلا إلى عددا محدودا، ونظم الدولة كانت لا تزال وثنية، على الرغم من وجود قسطنطين الإمبراطور لكن لازالت الدولة الوثنية فى نظمها، كذلك اليهود كانوا فى مصر جالية قوية وانضم اليهود إلى أريوس، لأنهم وجدوا المبدأ الأريوسى مبدأ

يمكنهم أن يوافقوا عليه، انضم إلى حركة أريوس عدد كبير من البشر، أولا من آمن بأريوس وأفكار أريوس، ومن خدعوا بأريوس من المسيحيين، ثم الوثنيون الذين كانوا أغلبية كبرى فى بلدنا، واليهود أيضا وكانوا جالية كبيرة، ثم الدولة انضمت إلى أريوس، حتى قسطنطين الذى فى مجمع نيقية أمسك بيد أثناسيوس وكان لم يزل شماسا وقال له: أنت بطل كنيسة الله. انضم إلى أريوس، ليس من الوجهة الإيمانية، ولكن من وجهة حفظ الأمن، لأن الدولة يهمها أن تكون مع الأغلبية ضد الأقلية حتى يستتب الأمن، وكانت الأغلبية مع أريوس لأنه كان من اللباقة ومن الذكاء ومن الفصاحة والبلاغة، ومن الحزق ومن المقدرة الخطبية ومما يسموه بالشعبية، فكان يندمج فى وسط الشوارع والميادين وفى وسط النوادى مع العامة ومع السوقة، حتى مع الأطفال، فكان يقول للطفل أنت أكبر أو أبوك يقول طبعا أبويا، يقول له قل للأرثوذكس المغفلين، قول لأثناسيوس المغفل، هل معقول يبقى الإبن مع الآب غير معقول. هذا هو تفكير أريوس، فكر أن الولادة أو كون المسيح ابن الله بمعنى الولادة الجسدية. كما نقول ابراهيم ولد اسحق، طبعا ابراهيم قبل أسحق، لكن حاشا. أن تكون ولادة الإبن من الآب من هذا النوع، المسيح إبن الله لأننا رأينا فيه صورة الله، ليس لأن الله يلد، الله لا يلد.

ما معنى أن العالم كله ضدك ؟ معناها أنك أنت واقف لوحدك. تصوروا واحد واقف فى وسط هذا الجمع، محاط بهذه الصعوبات من يقنع؟ ومن يكلم؟ ومن يناقش؟، الدولة كلها بتيجانها وبقوتها، كانت ضد أثناسيوس. أثناسيوس نفى خمس مرات، وكان الآباطره بما فيهم قسطنطين يذيقونه

مر العذاب، ٤٦ سنة قضاها على الكرسى ولكنه لم يقضيها على الكرسى، ربما على الكرسى كانت أيام إنما معظم وقته منفى ومشرد حتى عندما كان فى مصر كان يذهب فى أماكن خفية، فى الأديرة أو فى بيوت المؤمنين، لأن خمسين سنة ضد من؟ ضد هذه الأغلبية العظمى، عندما قالوا له «العالم كله ضدك» هذه الكلمة لم تكن سهلة، ولم يكن مبالغ فيها، إنما تدل على المرارة التى عاش فيها الرجل، ضع نفسك فى نفس الموقف، أنا أقول أثناسيوس هذا لو كان حديدا وإن كان نحاسا لتهرأ، ولو كان حجرا لإنمحى، كيف كان من لحم ودم، وكيف تحمل كل ذلك، كيف صمد خمسين سنة، يصمد أمام قوات مهولة تفوقه فى كل أمر ومن كل نوع. ولذلك عندما قال «وأنا بنعمة إلهى ضد العالم» . سموه «أثناسيوس الذى ضد العالم» هذه كلمة مرة، اليوم نقولها على المنابر، لكن حاول تفكر وتضع نفسك فى نفس الموضع، أحيانا عندما تجد عدد كبير من الناس ضدك فى موقف معين تصير نفسك تعبانة ومرة. تصور واحد لمدة خمسين سنة يصارع هذه المصارعات، لو لم يكن أثناسيوس رسولا من الله كيف كان يمكن أن يصمد، أثناسيوس كان يقف لوحده، وهذا يرينا أن رجل الدين الحق أين يكون؟ يكون حيث سيده لأنه خادم لسيده.

هل الرجل البطل أثناسيوس الذى ليس لبطولته مثيل، هذا الرجل الذى صمد أمام العالم كله، اليوم العالم كله يحترم أثناسيوس، شرقا وغربا يحنى الرأس لأثناسيوس، ولكن من تحمل الذى تحمله أثناسيوس؟ من الذى عاش المرارة والضيق والأزمات والإضطهادات والتعذيب والإتهامات، مرة سافر ليقابل قسطنطين فوجد الإمبراطور تغير من ناحيته، ورفض الإمبراطور أن

يقابل أثناسيوس، فاضطر أن يقف فى طريق مركبته أمام الخيل التى كادت أن تدوسه، فأمر الإمبراطور أنه يوقفوا المركبة. وقال له: لماذا تقف هنا؟ فأجابه هذه هى الطريقة الوحيدة التى أعرف أن أقابلك بها بعد أن حاولت أقابلك فلم أستطع. وأخذه فى المركبة ورجع به إلى البيت ليسمعه، هذا الإمبراطور قسطنطين الذى نفتخر به، فى وقت من الأوقات كان ضد أثناسيوس، وهو أول من نفى أثناسيوس.

أى إنسان يتحمل الذى تحمله أثناسيوس، صحيح أنه رجل خالد،أثناسيوس الخالد الذى لا يموت، وتاريخه تاريخ المسيحية كلها، ولذلك يعد بفخر مؤسس المسيحية الثانى. وكلمة رسولى لماذا؟ لأن جهاده جهاد الرسل، وأخشى أن أقول أعظم من جهاد الرسل، لأن الرسل لم يكن فى طريقهم العقبات الخبيثة والمتاعب التى لاقاها أثناسيوس. لذلك سموه رسولى، وأيضا سمى بمؤسس المسيحية الثانى. لأنهم قالوا هذا الرجل وهذه الرأس العنيدة لو كانت لانت أو خضعت كانت المسيحية انتهت من زمن، هو الرجل الوحيد العنيد الذى وقف ضد كل هذه الثورات، وبفخر يسمى مؤسس المسيحية الثانى بعد المسيح.

إن كنا نحن اليوم مديونين لأثناسيوس، إن كنا نحن اليوم مسيحيين شرقا وغربا فنحن مديونين لأثناسيوس، لأنه هو الذى حافظ على الإيمان كحارس أمين للإيمان، الحارس الأول الأمين للإيمان واليوم هذا الرجل فى السماء وفى العالم الآخر ونرسل إليه التحيات ونرسل إليه الصلوات ونتشفع به جميعا أن يرحم الكنيسة، وأن يرحم المؤمنين، وأن يحفظ الله الإيمان المستقيم ثابت إلى التمام، وأن يحفظنا نحن شعبه ثابتين على الإيمان الأرثوذكسى إلى النفس الأخير. ولإلهنا الكرامة والمجد إلى الأبد آميـن.

الفكر اللاهوتى للقديس أثناسيوس(*)

ندوة هذا المساء عن الفكر اللاهوتى للقديس أثناسيوس الرسولى، ولذلك نطالع فصلا من الإصحاح السادس عشر، من إنجيل معلمنا متى البشير بركاته علينا آمين.

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً «من تقول الناس أنى هو، أنا إبن الانسان؟» فقالوا: إن قوما يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين إنك إيليا، وآخرين إنك إرميا أو أحد الأنبياء». فقال لهم «وأنتم من تقولون أنى هو؟» فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحى» فأجاب يسوع وقال له : «مبارك أنت يا سمعان بن يونا لأنه ليس لحما ودما الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وأنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات»(١)

يسرنا ويشرفنا أن تقام فى هذه القاعة، التى تشرفت وتباركت باسم القديس أثناسيوس الرسولى، أول ندوة لاهوتية فى فكره، وفكر أثناسيوس اللاهوتى هو فكر الكنيسة كلها.

(*) فى ندوة الفكر اللاهوتى للقديس أثناسيوس الرسولى - بقاعة القديس أثناسيوس بدير الأنبا رويس - فى مساء الثلاثاء ١٥ من مايو (آيار) ١٩٧٣م - ٧ بشنس ١٦٨٩ش.

(١) مت ١٦ : ١٣ - ١٩.

إن ما يفخر به تاريخ أثناسيوس، أنه الرجل الذى ارتبط اسمه بألوهية السيد المسيح، هذه الصخرة التى أقيمت عليها كنيسته المجيدة. وكما يقول الوحى الإلهى فى الإصحاح الثانى من سفر صموئيل الأول وفى المزمور الثامن عشر «من هو صخرة غير إلهنا» ؟ وكما يقول الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى كورنثوس والإصحاح العاشر «والصخرة كانت المسيح». نعم إن الإيمان بألوهية المسيح هو الصخرة التى قامت عليها الكنيسة. فإذا زال إيمان المسيحيين بلاهوت المسيح زالت الكنيسة وانتهى وجودها. إن بقاء الكنيسة مرتبط بإيمانها الوثيق بلاهوت المسيح. ولذلك فإنه عندما نشأت البدعة الأريوسية التى طعنت لاهوت المسيح، والتى حاولت أن تشكك فى أزليته، فإنها أرادت بذلك أن تقوض المسيحية من أساسها، حتى لا تقوم لها بعد ذلك قائمة. ولذلك فإن دفاع أثناسيوس هو دفاع من كيان الكنيسة لأنه الإيمان بلاهوت المسيح هو الصخرة التى يقوم عليها بنيانها. فكان دفاع أثناسيوس عن لاهوت المسيح هو دفاع عن قيمة المسيح فى الكنيسة.

ونحن نشكر الله لأنه بعد نضال دام خمسين عاما. منها ستة وأربعون سنة قضاها القديس أثناسيوس على كرسى البطريركية، لم يذق فيها طعم الراحة يوما من نضاله. على أن نضال أثناسيوس بدأ فى الواقع، قبل أن يصير بطريركا ببضع سنوات، أى أنه بدأ منذ سنة ٣١٧ حينما ظهر أريوس ببدعته المعروفة.

هذه الخمسون سنة من الكفاح والنضال المر الذى ذاقه أثناسيوس، كان دفاعا عن كيان المسيحية وبقائها. ولذلك يعتبر أثناسيوس فى نجاحه أخيرا فى

تثبيت الإيمان بألوهية السيد المسيح، إنما أقام المسيحية من جديد... هذه التى كادت أن تهدم وكادت أن تزول. لذلك قال المؤرخون عن أثناسيوس أنه يعتبر بحق مؤسس المسيحية الثانى بعد السيد المسيح.. لأنه لولا أن الله أنعم على كنيسته بأثناسيوس ما كان يمكن للكنيسة أن تبقى إلى اليوم.

إن المسيح وعد بوعد هو وحده كفيل بأن يحققه ويفى به. «إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها». ولذلك فإن الكنيسة ستظل - ككنيسة - معصومة من الخطأ، لا بقوة أحد فيها، ولا بعصمة رئيس فيها، ولكن بقوة من يضمنها.. بقوة ضامنها... بقوة المسيح الذى قال «إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها»(١).

ولذلك فإن أثناسيوس لم يكن رجلا لاهوتيا فقط، وإنما كان حقا رسولا من الله، مجملا بكل الفضائل التى يجدر بخادم الله أن يكون متحليا بها، كرسول يكرم سيده ويكون دائماً حيث يكون سيده، لا يميل يمنه ولا يسره، لا يتحرك شرقا ولا غربا وانما هو مرتبط بسيد واحد، ولو وقف العالم كله ضده. فهو إلى جانب سيده ضد العالم.

فإن كان أثناسيوس قال مرة «وأنا بنعمة إلهى ضد العالم» فلأنه كان يعلم أنه كان مرتكنا على قوة سيده ضامن الكنيسة وضامن عصمتها، والذى وعد بأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها.

كانت البدعة الأريوسية بدعة دقيقة، ليس من السهل على الناس أن يتتبعوا ما تنطوى عليه من انحراف ومن ضلال. ولا تنسوا أننا كنا فى القرن الرابع للميلاد، حيث كانت المسيحية لا تزال محوطة بعدد ضخم من الوثنيين.

---

(١) مت ١٦ : ١٨

وكانت أنظمة البلاد فى مصر لا تزال وثنية، وكان اليهود فى مصر جالية كبيرة، وكان لهم نفوذهم الأدبى فى هذا البلد، لذلك انضموا إلى أريوس وكانوا معاونيه أيضا. وكانت الوثنية أيضا بأفكارها ومدارسها تؤيد الفكر الأريوسى، لأن ما قاله أريوس عن المسيح سبق فقاله أفلوطين الوثنى، الذى رأى أن الله مستشرف على المادة، ولا يمكن أن يتنازل الله المستشرف والعالى على المادة فيخلق المادة، فلابد أن يخلق كائنا متوسطا يخلق به العالم. هذه الفكرة الأفلوطينية هى التى أخذها أريوس وألبسها لباسا مسيحيا، وساندها بآيات من الكتاب المقدس ساقها فى تأييدها، آيات أساء أريوس تأويلها وتفسيرها.

فلم يكن الفكر الأريوسى فى حقيقته غير فكر وثنى صميم ذى لباس مسيحى. وهذا هو ما قاله القديس أثناسيوس «إن أفكار أريوس أفكار وثنية».

أضف إلى ذلك إنضمام الدولة بقوتها وسلطانها لتأييد أريوس، لأن أريوس كسب لبدعته أغلبية كبيرة من الناس... ومن رجال الدين أيضا. وكانت له مراكز قوى.. وأخذ يسعى إلى أن ينصّب فى الكهنوت أساقفة وكهنة من مؤيدى نظريته.. وقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا، فصارت لأريوس شعبية كبيرة.

ونزل أريوس بالمشكلة اللاهوتية إلى الشارع، وبدأ يكلم الناس فى الأسواق العامة فى هذه القضية اللاهوتية الدقيقة، ويبسطها بطريقة شوهتها، ومسختها، وأفسدتها وأتلفتها، وحولتها إلى أمر لا يقبله العقل... فصار عامة الناس مع أريوس يرون أن أفكار أثناسيوس أفكار غير معقولة، أفكار محالة.... وغير منطقية... وبدأ أريوس ينظم قصائد شعرية يحبها الشعب... وفى هذه القصائد

دس هرطقته، وأودع أفكاره... فأخذ الناس يرددون هذه الثاليات... هذه القصائد المحشوة بالأفكار الهرطقية ضد لاهوت المسيح... وما كان على الأمبراطور قسطنطين... وما كان على الدولة بقوة سلطانها إلا أن تؤيد الأغلبية على حساب الأقلية، لأن الدولة يعنيها أن تحفظ الأمن...

فأصبح أثناسيوس فى موضع الأقلية... الوثنية بكل آدابها وفلسفتها تؤيد الفكر الأريوسى... اليهودية بكل حججها ودفاعها عن التوحيد كما تفهمه، كانت فى مساندة الفكر الأريوسى... الدولة بكل سلطانها كانت أيضا مع الفكر الأريوسى... الناس من عامة الشعب الذين نزل إليهم أريوس، يكلمهم عن لاهوت المسيح بمنطق رجل الشارع، انضموا أيضا إلى الفكر الأريوسى.

لذلك حينما كانوا يقولون لأثناسيوس أن العالم كله ضدك، كانت هذه العبارة المرة القاسية، معناها أن أثناسيوس كان فى موقف الضعف... فلو لم يكن أثناسيوس رجلا من الله... لو لم يكن أثناسيوس مرسلا من السماء... كيف كان يمكنه أن يحتمل كل هذه الظروف... لا يوما... ولا شهرا... ولا سنة... بل خمسين سنة متوالية...

هل كنت يا أثناسيوس حديدا...

هل كنت نحاسا...

هل كنت حجرا...

هل كنت صخرة...

كيف هذا يا أثناسيوس...

هذا لا يمكن تفسيره، أن تحتمل ما احتملته يا أثناسيوس... إنك بحق رجل الله...، وخادم الله الأمين.

أنت الذى لولاك لكان الإيمان الذى نعترف به اليوم غير الإيمان الذى تسلمناه من آبائنا وأجدادنا...

تحية لك يا أثناسيوس فى هذا اليوم العظيم، الذى تشرف به بلادنا مرة أخرى بمقدم رفاتك...

ترى ماذا يكون معنى هذا المقدم، وهو مرتبط بقدوم رفات مار مرقس الرسول، ومرتبط بظهور العذراء مريم فى الزيتون...

ترى أليست هذه الأحداث الثلاثة نذيرا أو بشيرا، بأحداث خطيرة سوف تكون لبلدنا مصر، ولكنيسة مصر دور أساسى فيها...؟

إننى، فى هذا اليوم المبارك... مع مشاعر الفرح التى هزتنى كما هزتكم... كنت أحس بالرهبة... وأحس بالخوف... وأحس بالروعة... وأحس أن هناك أحداثا هامة خطيرة سوف تقع فى المستقبل القريب أو البعيد...

إن هذه الأضواء التى بدأت تسقط من جديد على أرض مصر... وعلى كنيسة مصر... لعلها نذير... ولعلها بشير... بدور هام أساسى، ستقوم به مصر... وكنيسة مصر فى مستقبل الأيام...

القديس أثناسيوس الرسولى
وقضية لاهوت المسيح (*)

هذا هو الأحد الثالث من الخمسين المقدسة، ونلاحظ بصفة عامة أن أكثر الفصول التى تقرأ فى الخمسين المقدسة أكثرها مأخوذ من الإنجيل للقديس يوحنا.

ذلك أن هذا الإنجيل هو الذى يتحدث دائما عن لاهوت المسيح ويبرز حقيقة لاهوته، فلم يتكلم عن ميلاده من العذراء مريم، ولا عن طفولته، إنما يبرز إبرازا واضحا أن المسيح نزل من السماء، هذا لا يتعارض مع أنه ولد من العذراء مريم، إنما يريد الإنجيل أن يبين لنا أن المسيح قبل أن يولد من العذراء مريم كان كائنا فى السماء وعلى الأرض، له وجود سابق على وجوده فى الأرض، وميلاده هو تجسد، لكن قبل أن يتجسد من العذراء مريم كان كائنا، ولذلك قال لليهود كثيرا «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» وكما نقول فى قانون الإيمان «الكائن قبل كل الدهور».

ولذلك فإن الإنجيل للقديس يوحنا دائما يقول «كان فى العالم والعالم لم يعرفه» معناه أنه كان كائنا فى العالم بطريقة غير منظورة والعالم لم يعرفه.

إذن ليس وجوده بدأ من مريم حاشا، إنما قبل أن يتجسد من العذراء مريم كان كائنا. وهذه مناسبة جميلة أننا فى الأيام السابقة مباشرة على حياة القديس

(*) ألقيت بكنيسة مارجرجس بالزاوية الحمراء. صباح الأحد ١٣ مايو ١٩٨٤م - ٥بشنس ١٧٠٠ش.

أثناسيوس الرسولى الذى نحتفل بإنتقاله إلى الأخدار السمائية فى السابع من بشنس، الذى يقع عادة يوم ١٥ مايو.

عيد أثناسيوس الرسولى نحتفل به لأن أثناسيوس البطريرك هو الذى دافع عن حقيقة لاهوت المسيح ضد رجل منحرف اسمه أريوس، ويعد «شهود يهوه» اليوم سائرين على خط أريوس، أريوس أنكر لاهوت المسيح وظن خطأً أن المسيح كما يقول الكتاب أنه ابن الله، فيعتبر أن هذه البنوة معناها أنه جاء متأخرا فى الزمان، وهذا خطأ فى الفهم، وهذه مادية الفهم، وحتى اليوم هناك إناس يفتكروا هذا الفكر وليس فقط أريوس وشهود يهوه، ولكن آخرون أيضا ممن لا يفهمون الدين المسيحى، وممن يعرضون بعقيدتنا فى المسيح فى التليفزيون وفى غيره، لأنهم لايفهمون معنى هذه البنوة.

ليس معنى أن المسيح ابن الله أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان حاشا، إنما لأن الله تجلى فى المسيح، الله وهو غير منظور صار منظورا فى المسيح، فالمسيح إذن هو التجلى الأعظم للإله، من هنا سمى الله ولكن ليس بمعنى أن الله يلد حاشا، إنما لأنه التجلى ولأنه الصورة المنظورة لله غير المنظور.

مثل ما قال المسيح «الله لم يره أحد قط» الله نفسه اللاهوت، من يستطيع أن يقول أنه استطاع أن يرى الله، الله نور، وساكن فى نور لايدنى منه أى لا يقترب منه، فالله لم يره أحد قط لكن لما أراد أن يكون له كيان منظور لكى يراه الناس، ثم لكى يتمم عمل الفداء نيابة عن البشر، اتخذ له جسدا، استتر فى جسد، احتجب فى جسد، تلبس فى جسد، هذا التلبس بالجسد، هذا الإستتار فى

الجسد، هذا الإحتجاب فى الجسد، أصبح له على الأرض كيان منظور ملموس، فالمسيح المنظور هو صورة الله غير المنظور، وقد صار منظورا ولبيان العلاقة بينه وبين الإله الغير المنظور لذلك سمى بابن الله. وهذا هو المعنى الذى عانى القديس أثناسيوس الرسولى معاناة شديدة فى أن يشرحه لأنه كثير من الناس أخطأوا هذا الفهم غير أريوس مثل شهود يهوه، هؤلاء الناس الذين يندسوا بينكم وهم يهود صهاينة، هم ليسوا بمسيحيين وإن كانوا يزعموا أنهم مسيحيون، إنما هؤلاء هم يهود صهاينة. لذلك ينكرون لاهوت المسيح ويعتبرون أنه مخلوق وأنه خلق ولذلك نقول فى قانون الإيمان الذى وضعه القديس أثناسيوس الرسولى والذى أقره مجمع نيقية سنة ٣٢٥م نقول «مولود غير مخلوق» هو الخالق لكل شىء وعن طريقه تم الخلق، ومثل ما يقول الكتاب «به خلق العالمين» (١) وفى إنجيل يوحنا يقول: «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان هو الله به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان» (٢) انظر المعنى به كان كل شىء أى كل الموجود أوجده المسيح قبل التجسد، لذلك اسمه الكلمة، لماذا الكلمة؟ لأن الكلمة تجسد للعقل، العقل غير منظور إنما يتجسد فى الكلمة، عندما نقول فلان رجل عاقل، العقل غير منظور، من أين نحكم عليه أنه إنسان عاقل؟ من كلامه، الكلام يترجم عن العقل لأن العقل غير منظور، فالكلمة تجسيد للعقل، فلما كان الله غير منظور تلبس فى جسد وصار منظورا هو المسيح، سمى بالكلمة لأن الكلمة تجسيد للعقل، لأن الله هو العقل الأعظم لهذا الوجود، لأنه الحكمة الكبرى لهذا الكون، إذا كان الإنسان عاقل فالعقل

---

(١) عب ١: ٢. (٢) يو ١: ١، ٣.

الذى فيه حجمه صغير، وكل إنسان عاقل، والملائكة كائنات عاقلة، إذا من هو أبو هذه العقول، من هو أصلها، أصل العقول هو الله، فالله هو العقل الأعظم فإذا كان الإنسان عنده عقل فمن خالق هذه العقول، لابد أن يكون الله ذاته هو العقل الأعظم الذى خلق العقول، ولما تجسد العقل فى المسيح، فالمسيح تجسيد للعقل الأعظم، إذن هو الكلمة، «فى البدء كان الكلمة» أى فى الأزل، هذه غير كلمة «فى البدء خلق الله السموات والأرض» لأن خلق السموات والأرض فى البدء الزمانى، إنما عندما يقول «فى البدء كان الكلمة» يعنى فى الأزل، لأنه لا يمكن أن يكون الله كائنا دون أن يكون فى نفس الوقت عاقلا، فالعقل فى الله أزلى، ولذلك المسيح فى حقيقته أزلى، ولذلك لما ظهر للقديس يوحنا فى الرؤيا يقول له: «لاتخف» لأنه رآه فى شكل إنسان، لأن المسيح لما صعد إلى السماء بعد القيامة صعد بجسده لأن لاهوته لم يفارق ناسوته «جسده» لحظة واحدة ولا طرفة عين، لأن المسيح لما قام من بين الأموات قام بذات الجسد الذى صلب به، ولذلك قال لتلاميذه تعالوا جسونى وتحققوا إنى أنا هو بنفسى، وقال لتوما تعال مد يدك فى مكان المسامير فى يديى وفى رجلى وفى جنبى، لماذا احتفظ بها المسيح؟ لكى يبرهن على أنه هو بذاته الذى صلب هو بذاته الذى قام، وقام بذات الجسد إذن فهو ليس خيال، إذن المسيح قام بجسده وقال هذا الجسد لحم وعظام لأنهم ظنوه خيالا، ظنوه روحا بلا جسد أو أنه شبح، فقال لهم إن الشبح ليس له عظام ولحم كما ترون لى، وأكل أمامهم لكى يبرهن لهم على أنه قام بجسد حقيقى طبيعى له ولحم وله عظم، فلما صعد إلى السماء صعد بجسده وكان أمام جميع تلاميذه وكانت عيونهم شاخصة إليه وهو يصعد إلى السماء.

والمسيح جلس على العرش بجسده وهو الآن جالس على العرش بهذا الجسد، وهذا شرف للبشرية أن المسيح أخذ طبيعتنا ورفعها إلى السماء وأجلسها على العرش، هذه الطبيعة الترابية التى من الأرض اكتسبت بالمسيح شرفاً،لأن المسيح أخذها فشرفها وكرمها وألهها ورفعها إلى السماء وجلس بها على العرش، كما يقول الكتاب المقدس نحن الآن جالسون فى المسيح على العرش لماذا؟ لأنه أخذ طبيعتنا التى أخذها جلس بها على العرش، فطبيعتنا الجسدية جالسة الآن على العرش فى المسيح، لذلك فى القداس يقول «أخذت باكورتى إلى السماء» والباكورة تعنى أول الشيء فبإتحاد اللاهوت بطبيعتنا الترابية اكتسبت مجدا وكرامة، لأن السيد المسيح أخذها وقدسها ثم ألهها رفعها إلى المجد، والمسيح الآن جالسا على عرشه فى السماء بذات الجسد الذى أخذه من العذراء مريم.

فلما ظهر الله ليوحنا فى الرؤيا رآه يوحنا فى الجسد ووصف رأسه وشعره بأنه أبيض وعيناه كلهيب نار، ووصفه أنه مرتدى ثوب أبيض حتى القدمين، وأن له يدان وأن له رجلان، وأنه يرتدى منطقة من ذهب، لذلك الأساقفة يلبسوا هذه المنطقة تمثلا بالسيد المسيح كما رآه يوحنا، لكى تكون أمامنا صورة إيضاح لما رآه يوحنا. ثم يقول يوحنا أنا سقطت من بهائه ومن جماله ومن عظمته ومن مجد لاهوته، يقول «سقطت عند رجليه كميت» (١) مع العلم أن يوحنا كان على جبل التجلى، ورأى المسيح فى مجده لأنه أزال القناع ورفع اللسام وكشف عن بهائه، فرآه التلاميذ الثلاثة وأحبوا أن يقيموا دائما، وقالوا

---

(١) رؤ ١: ١٧.

حسنا لنا أن نبقى هنا، أو جميل أن نبقى هنا... مع ذلك لم يقل الكتاب ماقاله الآن يوحنا «أنا سقطت عند رجليه كميت» فالإنسان عندما يرى منظر ثم يراه مرة ثانية هو بعينه يكون أخذ عليه ويألفه لأنه رآه مرتين، أما يوحنا ففى المرة الثانية بين أنه مبهور أكثر مما كان على جبل التجلى لماذا؟ لأن المسيح على جبل التجلى أزاح فقط شيئا أى أبرز أو أظهر شيئا من مجده، لكن بولس الرسول لما رآه فى رائعة النهار أصيب بالعمى ثلاثة أيام، الرسل على جبل التجلى لم يصابوا بالعمى، إنما بولس الرسول يقول أن بهاءه أكثر من لمعان الشمس فلم يستطع أن يبصر، ولذلك اقتاده المرافقون له واستمر ثلاثة أيام أعمى، على ماذا يدل هذا؟ على عظم وعظمة البهاء والجمال الذى رآه بولس، كان أكثر مما رآه التلاميذ على جبل التجلى، لأن المسيح كان يتحكم فى قدر البهاء الذى يسمح به، فعلى جبل التجلى سمح ببعض البهاء، لبولس الرسول سمح ببهاء أكثر حتى يجعل قلبه يخشع ويعرف من هو المسيح، لأنه قال له: من أنت ياسيدى؟ قال له «أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده» (١)، فأراد أن يبين له مقامه، وطبعا وهو على الأرض كان يخفى لاهوته حتى يتمم عمل الفداء، لأنه لو كشف المسيح عن كمال لاهوته، من كان يستطيع أن يراه ويعيش لأن إلهنا نار آكلة، لذلك احتجب واستتر، فالجسد بالنسبة له حجاب وستار، فبولس الرسول رآه فى بهاء أعظم مما رآه يوحنا على جبل التجلى ولذلك أصيب بالعمى على الرغم من بعد المسافة بين الأرض وبين السماء ومع ذلك أصيب بالعمى، لكن هنا فى الرؤيا يوحنا رآه فى بهاء أعظم وأعظم

---

(١) أع ٩: ٥.

وأعظم لأنه لا داعى أبدا أن يخفى هذا البهاء وهذا الجمال فلذلك يقول «سقطت عند رجليه كميت» وانظر رجليه هنا تعنى أن له رجلين مما يدل على أنه هو المسيح الذى تجسد، فله رجلين فيقول «سقطت عند رجليه كميت» ثم يقول «فوضع يده اليمنى على رأسى» (١)، إذن هو المسيح متجسدا وقال لى لاتخف، أنا هو الأول والآخر، ماذا تعنى الأول والآخر؟ تعنى أنه ليس غيرى إله، أنا الأول وأنا الآخر، أنا أول الوجود، أصل الوجود وكما نقول فى قانون الإيمان «قبل كل الدهور» وأنا الآخر، والآخر يعنى الأبدى، أى أنا هو أزلى أى لابداءة له وأبدى أى لانهاية له، أنا الألف وأنا الياء، قبل الألف فى اللغة العربية وبعد الياء لا يوجد عندما يقول أنا الألف وأنا الياء هى نفس الكلمة الثانية أنا الأول وأنا الآخر، أى أنا الأزلى وأنا الأبدى، أى لايوجد قبلى أحد ولا يكون بعدى أحد، ثم يكرر مرة ثانية ويقول أنا البداءة وأنا النهاية، أنا البداءة، أى أنا بدء الوجود، أنا البدء الذى لابدء له، أنا الذى به بدأ الوجود وأنا النهاية، أى كل شىء ممكن أن ينتهى، إنما أنا الدائم، ولذلك هنا ألفاظ لا تقال إلا عن الله الذى اسمه يهوه، ماذا تعنى يهوه؟ موسى النبى لما ربنا ظهر له فى العليقة وقال له أنا أرسلك لبنى إسرائيل لتخرجهم من أرض مصر، قال له: من أنت؟ أقول لهم من الذى أرسلنى؟ قال له قل لهم أنى أنا يهوه، كلمة يهوه هى تركيب عبرانى معناه «أنا الكائن دائما» وكما قال فى سفر الرؤيا «الكائن الذى كان الدائم إلى الأبد» (٢)، وأيضا نقول فى القداس الغريغورى «أنت الكائن الذى كان الدائم إلى الأبد» إذن يهوه تعنى «الكائن

---

(١) رؤ ١: ١٧.

(٢) رؤ ١: ٤.

دائما أى الدائم» فلا يوجد أحد دائم إلا الله، الدائم هى ترجمة كلمة يهوه، يهوه فى العبرانى تساوى فى العربى كلمة الدائم، والدائم تعنى الكائن دائما أى الكائن فى الماضى «أزلى» وفى الحاضر وفى المستقبل «الأبدى» أى فى كل الأزمنة، ولذلك عندما المسيح يقول أنا الأول وأنا الآخر أنا الألف وأنا الياء أنا البداية وأنا النهاية، يعنى أنا الأزلى أنا الأبدى أنا الدائم، وفى سفر الرؤيا يقول «الكائن الذى كان الدائم إلى الأبد».

من هنا نفهم أن المسيح له المجد هو بعينه الله بعد التجسد لأنه لو ظهر على حقيقته لاحترق الكون، الشمس على بعد ٩٣ مليون ميل، لواقتربت شيئا فشيئاً لاحترقت الأرض فما بال ربنا نفسه، إلهنا نار آكلة لذلك يقول: إن الكاروبيم وهم أرقى أنواع الملائكة وأقربهم للعرش هم من نور ومن نار، ليسوا مثلنا من تراب، لدرجة أن الكتاب يقول أنه لما نزل ملاك من السماء استنارت الأرض من بهائه، الملاك جبرائيل الذى ظهر فى ليلة ميلاد السيد المسيح أضاء البادية أى الصحراء، تصور قوة النور التى تنور الصحراء، فالملائكة من نور ومن نار فنجد أن الكاروبيم وهم أرقى أنواع الملائكة بجناحين يغطون وجوههم، وهم من نور ومن نار- وبجناحين يغطون أرجلهم، بيغطوا أنفسهم لماذا؟ لئلا يحترقوا من النور الإلهى، إذا ما شكل وحجم هذا النور؟ يقول الكتاب إلهنا نار آكلة. وهذا هو السبب أنه لما توما وضع يده فى جنب المسيح صرخ وقال ربى وإلهى؟ لماذا؟ كان ممكن يقول آمنت، لكنه صرخ لأنه لمس بيده النار، احترق فصرخ وقال ربى وإلهى، لماذا يعترف بالربوبية والألوهية؟ لأنه بوضع يده لمس النار، وإلهنا نار آكله لكنه ستر نفسه

وحجب ذاته، ولذلك هذا الجسد بالنسبة للمسيح ستار لأنه لولا هذا الجسد ماعاش أحد على الأرض، لو اقتربت الشمس على الأرض مسافة صغيرة تحترق الأرض، فما بال الإله نفسه لما ينزل على الأرض، يقول: «من يسكن فى وقائد أبدية» إذن كان لابد لكى يتجسد أنه يستر نفسه ويحجب نفسه، إذن الجسد للمسيح حجاب وستر، ستر يغطى به لاهوته، لأن الله لم يره أحد قط الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه، فاللاهوت فى ذاته لايرى ولكن لكى يرى لابد أن يستتر، وهذا هو معنى انه إبن الله، لا بمعنى الولادة ولكن بمعنى التجلى، الصورة المنظورة للإله غير المنظور.

لأنه لايوجد فى لغة البشر والإنسان تعبير يصلح لتقريب المعانى إلا كلمة الإبن، افرض إنك وأنت تسير فى الشارع وجدت رجل كبير فيه صفات كثيرة تشابه صفات زميل لك، فتتقدم إليه وتسلم عليه وتقول له حضرتك أبو فلان؟ يجيبك نعم وكيف عرفتنى؟ أنت أول مرة ترانى.. صحيح أول مرة أراك ولكن أنا عرفتك من ابنك، من التقارب أو التماثل أو التشابه بينك مابينه حكمت إنك أبوه.

هكذا الله لم يره أحد قط لكن هذا الكائن الذى ظهر من ألفين سنة وهو المسيح، لأنه أعطانا وأعطى البشرية كل صفات الإله الذى لم ير، فمن هنا سمى إبن الله للتشابه بين صفاته وصفات الله، عمل أشياء لايمكن لنبى أو لرسول أن يعملها، المسيح كان يشفى بسلطان، كونه يخلق للمولود أعمى عينين الذى كانت مقلتاه فارغتين، لماذا هذا الرجل بالذات الذى يتفل على الأرض ويصنع من التفل طيناً؟ هو شفى عميان آخرين بلمسة أو يقول له

أبصر بالأمر فيبصر لأن عينيه موجودة بس العصب البصرى متعطل، إنما الرجل المولود أعمى، هذا ليس له عينان فى مقلتيه، فارغتان لذلك تفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطمس به عينيه الفارغتين أو مقلتيه الفارغتين، هنا عملية خلق كما خلق الله آدم من تراب الأرض. ولماذا الطين؟ كما قال إشعياء النبى «نحن الطين وأنت جابلنا» (١)، فهنا المسيح يبين سلطانه على الخلق، لأن الكتاب يقول «به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان» (٢)، فبهذه المعجزة بيّن سلطانه على الخلق، ولذلك لما جاء ووقف على قبر لعازر، الناس قالوا الذى فتح عينى الأعمى ألا يقدر أن يجعل هذا أيضا لايموت؟ هذا بعد اليوم الرابع من دفنه، والمقصود من ذلك أن الذى صنع المعجزة الكبيرة وهى فتح عينى الأعمى ألا يقدر أن يقيم العازر؟ لأن فتح عينى الأعمى معجزة خلق ولكن إقامة لعازر، الروح موجوده فى عالم الأرواح والجسد موجود حتى لو كان تحلل، ليست عملية خلق من العدم إنما عملية إرجاع الجسد إلى صورته والروح تدخل الجسد، إنما معجزة المولود أعمى أكثر من معجزة لعازر، لأنها معجزة من عدم.

أثبت المسيح سلطانه على الخلق، ولم يصلِ ليطلب قوة خارجة عن ذاته وعندما دخل يقيم الصبية ابنة رئيس المجمع، لم يصلِ مثل ماصلى النبى أو الرسول ليطلب قوة، إنما بالأمر «ياصبية قومى» والرجل الشاب ابن أرملة نايين الذى قابله خارج المدينة، لم يصلِ ليطلب قوة من خارج عن ذاته لأن منه القوة وبه القوة، وفيه القوة، لذلك الملاك لما ظهر له فى بستان جثسيمانى

---

(١) إش ٦٤: ٨.

(٢) يو ١: ٣.

وكان المسيح بيمثل الإنسان كنائب عن البشرية موضوع عليه آثام الكل كفادى، جاء له الملاك يقول له لك القوة، لاتظنوا أن كلمة يقويه بمعنى يعطية قوة لا.. مستحيل، هنا كلمة يقويه بمعنى يقول له: لك القوة، مثلنا عندما نبارك الله ليس كما يبارك الكاهن الشعب!! لا.. ولكن نقول له لك البركة، فكلمة يبارك الله فى اللغة ليس معناها أننا نحن نبارك الله، كأننا نحن الكبار والله يأخذ البركة منا، .. ولكن بمعنى أننا نقول له «لك البركة» فكلمة يقويه هنا يقول له لك القوة، ولذلك نحن نستخدم فى أسبوع الآلام هذه التسبحة التى قالها الملاك «لك القوة..» وأيضا التى يقولوها الملائكة للمسيح فى سفر الرؤيا، اصحاح ٤ واصحاح ٥ واصحاح ١١ إلى آخره يجدوا الملائكة يقولوا للمسيح «لك القوة لك البركة..» وهى «ثوك تاتى جوم نيم بى أوو نيم بى ازمو نيم بى أماهى شآنيه آمين» وهذه موجودة فى سفر الرؤيا وهى التى استخدمها الملاك لما كان المسيح فى بستان جثسيمانى أظهر بالضعف ماهو أعظم من القوة، المسيح ظهر ضعيفا لأنه كفادى له القوة، ولذلك المسيح قام على طول، وواجه رؤساء الكهنة والعسكر وقال لهم من تريدون؟ قالوا له يسوع الناصرى، قال لهم أنا هو فوقعوا على وجوههم، لماذا وقعوا؟ من هيبته؟ ولو كان يريد أن يهرب كان يقدر أن يهرب، ولكنه أراد أن يبرهن على أن المسيح الذى ظهر ضعيفا فى بستان جثسيمانى كانت له القوة، فوقعوا على وجوههم من هيبته، نقول فى الجمعة الكبيرة «يامن أظهر بالضعف ماهو أعظم من القوة». أى أن المسيح استضعف وظهر ضعيفا لكى يتمم الفداء لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد، ولذلك المسيح لم يدافع أبدا عن نفسه ولم يتكلم، لدرجة أن بيلاطس يقول تعجب، يقول له أما ترى كم يشهدون عليك أما تجيب، وأيضا أمام رئيس

الكهنة لكى يتمم عمل الفداء ظل صامتا لأنه جاء من أجل هذا وقال «من أجل هذه الساعة قد أتيت».

فالمسيح له المجد لما كان يشفى كان يشفى بسلطانه، لم يكن يصلى قبل أن يشفى، فى مواقف نسب إليه أنه صلى، ولكن هذه الصلاة بالنسبة له كانت مناجاة لبيان العلاقة بينه وبين الآب، إنما ليس صلاة الطلب، إلا فى بستان جثسيمانى فقط الذى فيه كان المسيح يصلى صلاة الطلب باعتباره أنه نائب عنا، هذا هو الموقف الوحيد الذى فيه المسيح صلى صلاة الطلب إنما فيما عدا ذلك كل صلاته مناجاة بينه وبين الآب لبيان العلاقة مثلمايقول الواحد فينا قلت لنفسى أو قلت فيما بينى وبين نفسى، فهنا مناجاة فى داخل النفس البشرية، فهذه المناجاة بين الإبن والآب، إنما فى عمل المعجزات لم يكن يصلى، يوجد مواقف أخرى نسب إليه فيها الصلاة، فكان يكلم الآب ويقول «أيها الآب مجدنى بالمجد الذى كان عندك»، هذه مناجاة، إنما لم يحدث فى أى معجزة شفائية أو إقامة ميت أن المسيح صلى لكى يبرهن على أنه هو صاحب السلطان وصاحب القدرة، ولذلك الناس كانوا يقولون «من هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه» (١)، ثم يقول «من هذا الذى حتى الشياطين تخضع له» (٢)، عندما قالوا له «لاترسلنا إلى الجحيم بل إذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير» إذن، انظر السلطان على الشياطين الكثيرين وكانوا لجيئون فى الرجل يقولوا له إئذن لنا أى يستأذنوه، ولو لم يسمح لهم ماكانوا استطاعوا أبدا أن يدخلوا فى قطيع الخنازير، فيقول الكتاب فأذن لهم فدخلوا فى قطيع الخنازير. انظروا السلطان لذلك الناس ظلوا مبهورين ويقولوا من أين له هذا السلطان، من هذا الذى الشياطين تخضع له، هذا هو الله الظاهر فى الجسد،

---

(١) مت ٨: ٢٧.　　(٢) لو ١: ١٧.

ولـذلك لا يوجـد فرق بـين كلـمة أن المسيح هو الله والمسيح هـو ابن الله، المعنى واحد، هو الله لكن أخذ صورة جسدانية شكليـة استتر فـى الجسد، هـو الله فـى حقيقـته وإبن الله مـن حيـث أنـه التجـلى والظهـور، عظيـم هـو سـر التـقوى الله ظـهـر فـى الجسـد.

لإلهنا الاكرام والمجد إلى الأبد آميـن.

لاهوت المسيح فى تعليم القديس
أثناسيوس الرسولى (*)

فصل الإنجيل الذى قرأناه الآن مأخوذ من الإصحاح الثامن من إنجيل معلمنا يوحنا، وتلاحظون أن الفصول التى تقرأ فى الخمسين المقدسة أكثرها مأخوذ من إنجيل يوحنا لأنه الإنجيل الذى يبرز أمامنا لاهوت المسيح، الإنجيل الذى ركز كل ماكتب فيه على لاهوت المسيح، حتى أنه فى آخر مادونه يقول «وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب فى هذا الكتاب، وإنما هذه كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه».

فالإنجيل، إنجيل يوحنا من أوله إلى آخره إنما كان كله يدور حول موضوع واحد، وهو إبراز حقيقة المسيح اللاهوتية، وأنه وإن كان قد ظهر فى الجسد وإن كان قد أخذ صورة الإنسان، وإن كان قد اتخذ إنسانية كاملة، لكنه فى حقيقته هو الله ذاته، العقل الأعظم، وقد شاء فى الزمان أن ينزل إلى الأرض من أجل أن يحقق للإنسان خلاصا، ولكى يجعل ذاته منظورا أخذ صورة إنسان، ولو كان قد ظهر بكمال لاهوته لاحترقت الأرض وما عليها، لأن إلهنا نار آكلة، لذلك اتخذ الجسد حجابا له، استتر فى هذا الجسد، تلبس بجسد، لكى يجعل فى إمكان الإنسان أن يعيش، لأن الله تعالى قال يوم إن اشتهى موسى أن يرى الله، قال له لا... ياموسى «لايقدر إنسان أن يرانى ويعيش» (١)، ولكن تحقيقا لرغبة موسى، قال له سأضعك فى نقرة فى الجبل واسترك، وأمر أمامك

(*) محاضرة ألقيت بكنيسة القديس أثناسيوس الرسولى بقليوب - صباح الجمعة ١٥ من مايو ١٩٨١م - ٧ من بشنس ١٦٩٧ش.

(١) حز ٣٣: ٢٠.

ببهائى، أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، فرأى موسى بهاء الله من بعيد، أما اللاهوت ذاته فلم يستطع أن يراه، ومع ذلك لمع وجه موسى كل أيام حياته، حتى أنه لما نزل من الجبل لم يقوى بنو إسرائيل على أن يتطلعوا إليه، لأن وجهه كان يلمع ببهاء، ليس هذا البهاء بهاء موسى إنه بهاء الله وقد انعكس على وجهه، ومع ذلك لم يقدر بنو إسرائيل أن يتطلعوا إلى وجه موسى لكثرة البهاء والنور واللمعان الذى سطع على وجهه كل أيام حياته، فكان كل ما نزل إلى بنى إسرائيل من الجبل يضع برقعا على وجهه ويكلم بنى إسرائيل من تحت البرقع. فإذا صعد إلى الجبل يرفع البرقع حينما يتكلم مع الله، فإذا كان مجرد شىء من البهاء وقع على وجه موسى وهو فى نقرة فى الصخر، جعل وجهه يلمع كل أيام حياته، فكيف كانت تكون الحال لو أن الله بكمال لاهوته ظهر على البشر، هل كان يمكن لأحد من الناس أن يعيش؟ إن كانت الشمس هكذا على بعد ٩٣مليون ميل فمع ذلك لايقدر أحد أن يحملق فى الشمس طويلا، لئلا تحترق شبكية العين فكيف لو نزلت الشمس إلى الأرض؟ إن الأرض لابد أن تتبدد من قبل أن تصل الشمس إلى الأرض، كم إذن كان يحدث لو أن الله بكمال لاهوته ولم يحتجب، كم كان يمكن للأرض والبشر الذين على الأرض أن يحتملوا وجود الله ذاته على الأرض، الملائكة الذين هم من نور، والكاروبيم الذين هم من نار ومن نور، وهم أقرب الملائكة إلى العرش الإلهى، مع ذلك يروى عنهم الكتاب المقدس أنهم ليس فى مقدورهم أن يتطلعوا إلى وجه الله، ولذلك فبجناحين يسترون وجوههم، وبجناحين يسترون أرجلهم، حتى أن حزقيال النبى وصف الكاروبيم بأنها كرات من نار، هؤلاء

الكائنات الذين هم من نار، ومن نور لاقدرة لهم على أن يواجهوا الله لذلك يسترون وجوههم بأجنحتهم ويسترون أرجلهم بأجنحتهم (١)، ولهذا السبب حينما يقف الكاهن يصلى فى المذبح، حينما يذكر أن الله يقوم أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة، وفى هذه اللحظة يمسك لفافة فى شكل مثلث ويضعها على وجهه، ليذكر أن وجه الله لايقدر أحد أن يتطلع إليه حتى ولا الملائكة. إذن كان ينبغى لكى يظهر الله على الأرض ولا تحترق الأرض وما عليها من بهائه كان لابد أن يحتجب فى جسد، أن يستتر وأن يتخذ له جسدا، الكلمة اتخذ جسدا، لكنه كما يقول القديس أثناسيوس الرسولى الذى نحتفل اليوم بذكرى رقاده ودخوله إلى الأخدار السماوية، «الكلمة كان ولم يزل إلها» الكلمة إله بل كما يقول القديس يوحنا الرسول فى مطلع الإنجيل وكان «الكلمة هو الله» هو الله فلما اتخذ جسدا مازال هو الله فى حقيقته، ولذلك حينما سأل المسيح تلاميذه وقال لهم ماذا يقولوا الناس عنى أنا مارأيهم فى؟ ماذا يقال عنى؟ قالوا له إن بعض الناس يقولون أنك إرميا أو أنك إيليا أو أنك أحد الأنبياء، فسألهم وأنتم تقولون أنى أنا؟ فكانت إجابة القديس بطرس نيابة عن إخوانه التلاميذ رفقاءه لأنه كان أكبرهم فى السن، فكان دائما هو المتقدم، أجاب ماربطرس بقوله «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى» (٢)، هنا كلمة إبن لابمعنى أن الله يلد الإنسان حاشا، ولكن لأنه الصورة الظاهرة لله غير المنظور، وهذا ما يقوله الكتاب المقدس فى الرسالة إلى كولوسى المسيح هو صورة الله الغير منظور، الله الذى هو غير منظور بطبيعته، ولا يمكن لأحد أن يراه كما قال لموسى قد

---

(١) حز ١: ١١.

(٢) مت ١٦: ١٦.

صار منظورا، فهذا المنظور الذى هو المسيح فى صورة الجسد هو صورة الله غير المنظور، من هنا فهو إبن الله لا بمعنى أن الله يلد على نحو مايلد الحيوان، ولكن لأنه الصورة الظاهرة لله غير المنظور أو كما يقول الرسول بولس فى رسالته إلى تيموثيئوس «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١)، فهذا الظاهر فى الجسد، مانسبته إلى القوة غير المنظورة، هو صورة غير المنظور، من هنا جاءت كلمة إبن الله لأنه الصورة المنظورة لله الذى هو بطبيعته غير منظور.

يقول القديس أثناسيوس الرسولى «الكلمة كان ولم يزل إلها» كان هنا ليس بمعنى الماضى، لكنه بمعنى الماضى والحاضر والمستقبل، لما قال «فى البدء كان الكلمة» هنا يشير إلى وجوده الأزلى قبل الزمان، وهنا الفرق بين كلمة البدء هنا فى إنجيل يوحنا والبدء فى سفر التكوين حينما قال، «فى البدء خلق الله السموات والأرض» (٢)، هنا بدء الخليقة فى الزمان. أما البدء فى إنجيل يوحنا فهو الأزل، «فى البدء كان الكلمة» أى منذ أن كان هناك البدء الكلمة كان كائنا، هو البدء الذى لابداءة له، هو الأزل الذى ليس قبله إله، وهو يقول للقديس يوحنا فى سفر الرؤيا حينما رآه يوحنا فى ذلك البهاء والنور الذى لم يقوى يوحنا على مواجهته سقط على الأرض، وقال فى الرؤيا «سقطت عند رجليه كميت» وهنا كلمة رجليه يشير إلى أنه رأى المسيح فى الجسد، وهذه إجابة على الناس الذين يسألوا هل المسيح الآن فى الجسد أو لا؟ نعم فلاهوته لا يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، لقد قام المسيح من بين الأموات

---

(١) ١. تى ٣: ١٦.　　(٢) تك ١: ١.

بجسده، وقال لتلاميذه تعالوا جسونى وتحققوا فإن الشبح أو الروح ليس له عظام ولحم كما ترون لى، وقد احتفظ بالثقوب فى يديه ورجليه وأيضا بالطعنة التى فى جنبه، لكى يبرهن على أنه قام بذات الذى رقد فيه، قام المسيح إذن بجسده وعلى غرار هذا الجسد نحن نقوم، هذا هو جسد مجده الذى نحن على غراره سنأخذ فى القيامة أجسادا إذا كنا أبرارا، أما الأشرار فيأخذون أجسادهم ممسوخة ملعونة مظلمة كئيبة حزينة يائسة. رآه فى رؤياه، فى صورة إنسان لكن لاهوته وأشعة لاهوته تملأ كل السماء والأرض، وبهائه أعظم من نور الشمس، فكلنا نرى الشمس ولانسقط على الأرض، لكن يوحنا سقط على الأرض كميت لأن بهائه كان أعظم ضياء من الشمس ذاتها.

وشاول الذى هو بولس رآه فى رائعة النهار، رآه ولمعانه أعظم من لمعان الشمس، ولقد أصيب بالعمى ثلاثة أيام قضاها شاول أعمى، لأن النور الذى وقع عليه على الرغم أنه كان فى رائعة النهار كان قويا على عينيه فعمى، وهذا يعطيكم صورة البهاء والعظمة والنور الذى كان يضىء من وجه المسيح.

رآه يوحنا على جبل التجلى وجهه يضىء كالشمس، لأنه على جبل التجلى أراد أن يرفع القناع، أن يرفع شيئا من الستار ليرى التلاميذ الثلاثة جماله وبهائه ليتحققوا بعيونهم من حقيقة الإيمان الذى نطق به بطرس الرسول، حينما قال «أنت المسيح الله ابن الله الحى» بعد ستة أيام من هذا الإعتراف أخذ المسيح التلاميذ الثلاثة وصعد بهم إلى جبل طابور وتجلى أمامهم، فظهر وجهه أشد ضوء من الشمس ليؤكد لهم حقيقته من هو، رفع الستار فرأوا بهائه ولكنه أوصاهم قائلا لاتخبروا أحدا بما رأيتم إلا متى قمت من بين الأموات.

رآه يوحنا فى الرؤيا فسقط عند رجليه كميت ثم يقول وضع يده اليمنى على رأسى وقال لى لاتخف أنا هو الأول والآخر، أنا الألف وأنا الياء، أنا البداءة وأنا النهاية، أنا الحى وكنت ميتا، أنا الحى وقد مت، قد ذقت الموت بالجسد، ها أنا حى إلى أبد الآبدين (١). عندما المسيح يقول أنا الأول وأنا الآخر يعنى أنه لايوجد إله أخر، هو الله ذاته، إنما عندما ظهر على الأرض احتجب فى الجسد حتى يستطيع البشر أن يعيشوا والإله على الأرض قائم، هذا هو المسيح إلهنا، هذا هو سيدنا وهذا هو مخلصنا، على هذه العقيدة وعلى هذا الإيمان بنيت الكنيسة، يقول على هذه الصخرة ابنى كنيستى وبوابات الجحيم لن تقوى عليها، الكنيسة إذن كل بنائها الشامخ على هذه الصخرة لاهوت المسيح، ألوهة المسيح، المسيح إله ليس عبدا، ولا رسولا وإن كان أخذ صورة العبد لكنه فى ذاته هو الله الظاهر فى الجسد، على هذه الصخرة ابنى كنيستى وبوابات الجحيم لن تقوى عليها، وفعلا على مدى التاريخ حاول الشيطان وأعوانه أن يهدموا هذه العقيدة، أو أن يشوهوها أو أن يتلفوها أو أن يسخروا منها بمنطق بشرى أو ببلاغة إنسانية عقيمة، ومرت على الكنيسة حروب كثيرة أثارها الشيطان لكى يهدم الكنيسة، أو لكى يزحزح عقيدتها فى لاهوت المسيح، ومع ذلك فى نهاية الأمر يتدخل المسيح بسلطانه ليضع حدا لهذا ويمتد إيماننا فى لاهوت المسيح.

على مر هذا التاريخ قامت هرطقات وبدع وتعاليم قام إناس مختلفون، حاولوا موعزا إليهم من الشيطان لكى ينقضوا عقيدة المسيحيين فى لاهوت

---

(١) رؤ ١: ١٨.

المسيح، ولكن فى نهاية الأمر فشلوا وذهبوا وضاعوا مع الريح وبقى الإيمان بالمسيح، لأن المسيح قال أبواب الجحيم لن تقوى عليها، هذا وعد هو كفيل بأن يبر به، هذا وعد هو ضامن تحقيقه حتى لو سمح فى بعض فترات التاريخ بأن يعمل الشيطان عمله، ويحرك بعض الناس لعلهم يزلزلون الإيمان بلاهوت المسيح، ولكن فى الوقت يتدخل وتنتهى القصة ويعود الإيمان بلاهوت المسيح جديدا، وهذا هو الوعد واللفتة التى لفت المسيح أنظارنا إليها قبيل المجىء الثانى. إذا جاء إبن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الإرض؟ قد تمر فترات امتحان والمسيح الإله يرقب من السماء ليرى صبر الصابرين وصمود الصامدين، لابد أن يكون بينكم بدع ليكون المزكون ظاهرين، فرصة امتحان يظهر فيها إذا كان حقا هناك الإيمان، فإذا ترك الناس الإيمان وسقطوا فقد سقطوا بإرادتهم وهم المسئولون عن سقطتهم، أما الحقيقة فباقية وستبقى بقاء الله ذاته. أنت الكائن الذى كان والدائم إلى الأبد... بوابات الجحيم لن تقوى على الكنيسة، لن تقوى على هذه الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة.

نحتفل اليوم فى السابع من بشنس الخامس عشرة من مايو بأعظم حركة تصحيح دينية حدثت فى تاريخ الإنسانية، هذا الرجل البطل أثناسيوس الرسولى الذى تتشرف هذه الكنيسة وهذه البقعة من أرض مصر، بأن تقام فيها كنيسة باسم هذا الرجل البطل الذى سموه بحق الرسولى، والذى ظفر بهذا اللقب ثمنا لأتعابه الجمة، خمسين سنة لو كان حجرا لبلى، لو كان حديدا لذاب، لو كان نحاسا لتقوس، أنه إنسان مثلنا جسمه من لحم ومن شرايين ومن دم، يتحمل كل ماتحمله الرجل ومع ذلك يصمد ولا يلين، ولاتنحل له قناه إنما

يبقى كالجبل الأشم، اليهود كانوا ضده، والوثنيون كانوا ضده فى مصر وغير مصر، أريوس كان قسيسا من ليبيا وإن كان ظهر فى الأسكندرية لكنه لا ينتمى إلى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية. وإنما ينتمى إلى مدرسة إنطاكية، هذا الرجل قاوم الإيمان بلاهوت المسيح، وأنكر أزلية المسيح بدعوة أنه مادام إبن الله فهو متأخر فى الزمان عن الله وبالتالى فهو مخلوق، هذه الدعوة التى يكررها بعض الناس اليوم لأنهم بجهلهم ظنوا أن هذه البنوة بنوة جسدية لحمية كبنوة الإنسان للإنسان، أو بنوة الحيوان للحيوان، حينما نقول عن إسحق أنه إبن إبراهيم هذه بنوة جسدية، فلابد أن يكون إبراهيم أسبق من إسحق فى الزمان لأنه أبوه، أما المسيح ليس إبن الله بهذا المعنى، المسيح العقل الإلهى، «فى البدء كان الكلمة» لن يوجد زمن كان فيه عقل، إلا وكان العقل فيه كلمة وإلا فلاعقل أو كما قال أثناسيوس الرسولى هل وجدت الشمس فى لحظة ما من اللحظات دون أن يكون لها نور، أو دون أن تكون لها أشعة، النور مع الشمس منذ أن كانت الشمس شمسا، والماء من النبع منذ أن كان النبع نبعا، ولانستطيع أن نتصور نبعا من غير ماء، ليست هناك لحظة فى الزمان كان فيها النبع ولم يكن فيه ماء، ليست هناك لحظة فى الزمان كانت فيها الشمس ولم يكن بها نور، منذ أن كان الله هو الله فهو العقل الأعظم، لم يكن الله فى لحظة من الزمان بغير عقل أو كان الله بغير نور، فالأقانيم الثلاثة كخاصيات فى الذات الإلهية، ليست أقساما، نحن نعبد إلها واحدا وليس ثلاثة آلهة، هذه الثلاثة أقانيم خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، وهذا ما يقوله المسيح له المجد أنا وأبى معا، نحن معا واحد فى الجوهر وواحد فى الذات، هذه البنوة التى فهمها أريوس خطأ وقد يفهمها إلى اليوم بعض الناس، ممن يظنون فى أنفسهم أنهم

يمكنهم بهذا المنطق السخيف أن يزحزح عقيدة الأزلية، ليست هذه البنوة من طراز بنوة الإنسان للإنسان أو الحيوان للحيوان. إنما بنوة روحانية، بنوة أزلية، ولذلك سمى **بالإبن الوحيد** الذى لاشريك له فى هذا النوع من البنوة، الله لم يره أحد قط الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب، وهنا الآب ليس له حضن من نوع أحضان الناس، إنما الحضن هنا بمعنى الذات الإلهية، الإبن الوحيد الذى فى الذات الإلهية، القائم فى الذات الإلهية، الكائن فى الذات الإلهية ظهر، فهذا الظهور لم يمنع أنه منذ الأزل كان هو الله، ولذلك يقول الإنجيل فى البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله وكان الكلمة هو الله، ويضيف قائلا به كان كل شيء أى أنه هو الخالق وبغيره لم يكن شيء مما كان، وهو الخالق وليس غيره أحد آخر، به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان، هو الذى وصفه ماربطرس بقوله: «رئيس الحياة» الذى قال عن نفسه أنا القيامة وأنا الحياة (١)، أنا أصل الحياة، أنا باعث الحياة، أنا موجد الحياة، لايوجد نبيا أو رسولا يجرؤ أن يقول أنه هو الحياة، منْ منِ البشر يجرؤ على أن يقول عن نفسه أنه هو الحياة «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» (٢)، يقول لمرثا ولمريم: سيقوم أخوك فتقول له: أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير، قال لها: «أنا القيامة وأنا الحياة» وقال لفيلبس: «أنا الطريق وأنا الحياة» (٣)، أنا باعث الحياة أنا معطى الحياة من الذى يعطى الحياة؟ مالك الحياة، مالك الأبد ومثل ماقال الكتاب المقدس فى سفر إشعياء «يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا...» (٤) فى العربى

---

(١) يو ١١: ٢٥. (٢) يو ١: ٤. (٣) يو ١٤: ٦. (٤) إش ٩: ٦.

الحاضر يقولوا أبا أبديا، لكن الكلمة الأصلية ليست أبا أبديا، فى العبرانى أبو الأبد، أبو الأبد أصل الأبد، موجد الأبد، هو الأول ومن بعده الأبد، فهذا أبو الأبد، هذا هو الذى ولد من مريم، قال: «تجسد» ولبس صورة الجسد.

إذن من هو المسيح؟ الذى نؤمن به والذى احتمل من أجله آبائنا وعلى قمتهم أثناسيوس الرسولى، الذى يعد بحق مؤسس المسيحية الثانى، لأن هذه الهرطقة الأريوسية كادت تحتل عقول الناس، حتى الدولة بكل جحافلها ضغطت على هذا الرجل واضطهدته، ونفى خمس مرات بعيدا عن كرسيه، تابعوه وطردوه من مكان لمكان لكى يبيدوه ويقتلوه، طردوه وصبوا عليه كل اللعنات وكل سخط، جمعوا حوله المجامع لكى يهدموه، ومع ذلك صمد حتى جاء وقت من الأوقات قالوا له «العالم كله ضدك»، أصبح رأسا واحدا عنيدا واقفا صامدا وحده، لولا أنه كان قديسا لما كان يمكن أن يحتمل كل هذا، منْ هذا الذى يقوى ويقف أمام شهادة الناس جميعا «العالم كله ضدك» لو لم يكن هذا الرجل روحانيا لأعلى درجة كان يلين، كان يضعف، كان يكسر عناده وسلاطته الإيمانية، ولكنه إلى التمام صمد ولذلك قال عنه القديس غريغوريوس «**إن من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة ذاتها**» لم يكن أثناسيوس رجل فكر لاهوتى فحسب، إنما كان رجل فضيلة، وقداسة، لأنه لايقوى على هذا الصمود مالم يكن رجل الله بالحق والحقيقة، إن من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة ذاتها.

ودافع أثناسيوس عن لاهوت المسيح بمواقفه ومواعظه وكتاباته وأخيرا كسب الجولة لكن بعد تعب كثير، الله الرقيب على قلوب البشر هو الذى يعطى

لهذا الرجل جزاءه، لأنه على مايقوله الكتاب: «كل سيأخذ أجرته حسب تعبه» (١) فكلما كان هناك تعب من أجل الله فهناك أجر يتضاعف «كن أميناً إلى الموت فأعطيك إكليل الحياة» (٢).

أيها الأخوة والأبناء لا نستطيع فى موعظة قصيرة كهذه أن نتكلم عن أثناسيوس، إنما نحن فى هذا اليوم نتخذ سيرة أثناسيوس قدوة لنا فى زماننا، هذا الصمود الذى صمده أثناسيوس يطالبنا الله أن نصمده نحن فى أيامنا الحاضرة، لأن تجارب كثيرة تحيط بالكنيسة، ولأن الشيطان يحرك إناسا لعلهم ينالون من لاهوت المسيح، ليكن صمودنا صمود آبائنا، ليكن فى هذا اليوم الذى فيه نحتفل بأثناسيوس نتخذ من أثناسيوس أبا لنا، وكما يقول المسيح فى الإنجيل هذا اليوم «إن كنتم أولاد إبراهيم اعملوا أعمال إبراهيم» (٣) إن كنتم يا أقباط اليوم تحتفلون بأثناسيوس وتفتخرون بأثناسيوس، فبرهان إيمانكم الصادق أن تحافظوا على إيمان أثناسيوس وأن تصمدوا صمود أثناسيوس، وأن نتخذ من هذا الرجل قدوة لنا ومثالا وأمثولة نتعلم منه كيف يكون الثبات على الإيمان. يقول المسيح له المجد: «الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجىء... احفظوا الوديعة» (٤) الإيمان وديعة ونحن فى هذا الجيل نريد أن نسلم الوديعة ثمينة سالمة إلى أجيالنا الآتية كما سلمها إلينا أباؤنا الأمناء من قبلنا.

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا فى ديارهم الصنيعا
إذا المجد التليد توارثته إناس السوء أوشك أن يضيعا

---

(١) ١ . كو٣: ٨. (٢) رؤ٢: ١٠.
(٣) يو٨: ٣٩. (٤) رؤ٢: ٢٥.

لكن أنتم يا أقباط اليوم لكم أن تبرهنوا على أنكم خير خلف لخير سلف، إذا اتخذنا من أثناسيوس هذا الرجل، هذا البطل الصنديد القدوة والمثال، أن نثبت على الإيمان بلاهوت ربنا يسوع المسيح. الذى له الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

نماذج لكتابات للقديس أثناسيوس الرسولى

لماذا مات المسيح مصلوباً

بل ومامغزى الصليب

عن كتابه «تجسد الكلمة» (١)

هذه ترجمة جديدة للنص عن كتاب «تجسد الكلمة» للقديس أثناسيوس الرسولى، قمنا بها، وقد توخينا فيها إلى الأمانة والدقة أن تكون أكثر وضوحا مما سبقها من ترجمات...

فصل ٢٤

لا بد أن نرد مقدما على ماقد يعترض به الآخرون. فقد يقول البعض: إن كان يلزم أن يموت المسيح أمام الجميع، ويشهد موته الكل حتى يتأيد الاعتقاد بقيامته بعد ذلك، فكان من الأفضل له قطعا أن يرتب لنفسه موتا كريما، فيتجنب من ثم عار الصليب.

ولكن حتى لو فعل هذا، لأعطى سببا للتشكيك فى سلطانه على الموت، وأنه لم يكن يقوى على كل نوع من أنواع الموت بل فقط على نوع الموت الذى اختاره هو لنفسه، ومن ثم يكون ثمت سند لعدم الإيمان بقيامته. لهذا جاء الموت إلى جسده، لا من قبله هو بل من فعل عدو، حتى يبيد المخلص الموت إبادة تامة فى أية صورة يأتون إليه بها.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٧ العدد ٦، ٧ – ١٩٧٣م.

وكما أن المصارع النبيل إذا كان قويا وشديدا لا يختار بنفسه خصومه الذين يبارزهم، لئلا يظن به أنه يخشى بعضا منهم، وإنما يترك الاختيار للمشاهدين، لا سيما إذا كان هؤلاء المشاهدون خصوما له، حتى يهزم أيا من الناس يختارونه هم لمصارعته، مثبتا بذلك تفوقه وعظمة قوته.

هذا كان الحال مع المسيح. إن المسيح وهو حياة الكل، وهو ربنا ومخلصنا، لم يرتب بنفسه كيفية موته، لئلا يظن بأنه كان يخشى نوعا آخر من الموت غير موت الصليب. حاشا، فقد قبل المسيح واحتمل فوق الصليب موتا أوقعه عليه الآخرون، وهؤلاء الآخرون هم أعداؤه الألداء، موتا كان عندهم مرعبا ومخيفا بحيث لا يمكن مواجهته. وقد صنع المسيح ذلك، حتى إذا ما حطم ذلك النوع من الموت بالذات، آمن الجميع بأن المسيح هو ذاته الحياة... وتحققوا بأن سلطان الموت قد زال به نهائيا.

وهكذا حدث شيء محير، عجيب ومدهش، لأن الموت الذى أوقعوه عليه ليكون عارا وخزيا، أصبح علامة مجيدة على انتصاره على الموت. لهذا فإنه أيضاً لم يمت بالكيفية التى مات بها يوحنا المعمدان الذى قطعت رأسه وفصلت من جسده، ولا مات كما مات إشعياء بنشر جسده وشطره نصفين، بل احتفظ فى موته بجسده سليما غير مجزأ، حتى لا تكون هناك حجة فيما بعد للذين يريدون إنقسام الكنيسة وتجزئتها.

فصل ٢٥

وعلى هذا النحو يمكن أن نرد على الاعتراضات التى يثيرها الذين هم من خارج الكنيسة. أما إذا كان أحد من بين المسيحيين يريد مخلصا أن يعرف لماذا قبل المسيح الموت على الصليب ولم يمت بكيفية أخرى؟ فنجيب نحن بأنه لم يكن من الأنسب بالنسبة لنا أن يموت المسيح بطريقة أخرى. حقا أن الرب قد قبل من أجلنا كيفية الموت التى كانت أفضل من كل ما عداها.

أنه قد أتى ليحمل اللعنة التى كانت موضوعة علينا، فكيف يمكن أن «يصير لعنه» (١)، ما لم يقبل موت اللعنة، وهو موت الصليب، لأنه مكتوب «ملعون كل من علق على خشبة» (٢).

ثم أن موت الرب هو فداء للكل وبه هدم «حائط السياج الحاجز الفاصل» (٣)، وصارت الدعوة للأمم. فكيف كان ممكنا أن يدعونا إليه مالم يصلب؟ إذ لا يموت إنسان باسطا ذراعيه إلا على الصليب؟ بهذا نرى أيضاً كيف كان من المناسب أن يموت على الصليب باسطا ذراعيه، حتى يجتذب بذراعه شعبه القديم، ويجتذب الأمم بذراعه الأخرى، ويضم فى شخصه الإثنين معا.

وهذا هو ما سبق فأنبأ به عن كيفية موته الكفارى «وأنا، إذا ارتفعت عن الأرض جذبت إلى الناس أجمعين» (٤).

---

(١) غلاطية ٣: ١٣.

(٢) (غلاطية ٣: ١٣)، (التثنية ٢١: ٣٣).

(٣) أفسس ٢: ١٤.

(٤) يوحنا ١٢: ٣٢.

فصل ٢٧

وهناك دليل دامغ على إبادة الموت انهزامه بالصليب، وذلك الدليل هو فى هذه الحقيقة: أعنى أن جميع تلاميذ المسيح يحتقرون الموت بل ويتحدونه. وبدلا من أن يخافوه، صاروا يدوسونه بعلامة الصليب وبالإيمان بالمسيح، كما يدوسون على شىء ميت.

فقبل المجىء الإلهى للمخلص، حتى أطهر الناس وأقدسهم كانوا يخشون الموت (١)، وكانوا ينوحون على الموتى كما لو كانوا قد هلكوا. أما الآن وقد أقام المخلص جسده، فلم يعد الموت مرعبا بعد، لكن جميع الذين يؤمنون بالمسيح يدوسونه تحت أقدامهم كأنه لا شىء، ويؤثرون أن يموتوا عن أن ينكروا إيمانهم بالمسيح، لأنهم يعلمون جيد العلم أنهم عندما يموتون لا يهلكون، بل يحيون حقا، ويصبحون عديمى الفساد، وذلك بفضل القيامة.

أما ذلك الشيطان الذى كان قديما - بسبب شره - قد فرح بالموت، فبعد أن انحلت أوجاع الموت ظل هو وحده (أى الشيطان) الميت موتا حقيقيا. والدليل على ذلك أيضاً أن الناس - قبل أن يؤمنوا بالمسيح كانوا يرون الموت مرعبا وكانوا يخافون منه، فلما اهتدوا إلى الإيمان بالمسيح أصبحوا يحتقرون الموت احتقارا تاما، حتى صاروا يقبلون لملاقاته فى شوق، وغدوا شهودا لقيامة المخلص من الموت. حتى الأطفال صاروا يسرعون إلى الموت، وليس الرجال فقط بل والنساء أيضاً يدربن ذواتهن بمجاهدات جسدية ليقابلن الموت. هكذا

---

(١) أنظر مزمور (٥٤ (٥٥): ٤)، (٨٨ (٨٩): ٤٧)، (أيوب ١٨: ١).

أمسى الموت ضعيفا لدرجة أنه حتى النساء اللائى كن يخشينه، صرن الآن يسخرن منه كشيء ميت قد فقد كل قوته.

لقد أمسى الموت مثل جبار قهره الملك الشرعى قهرا تاما وأوثق يديه ورجليه، كما هو الآن، وصار المارة يهزأون به، يضربونه ويشتمونه، ولم يعودوا يخشون قسوته وغضبه، ذلك لأن الملك قد قهره. هكذا الموت، فقد قهره المخلص وشهر به على الصليب، وأوثق يديه ورجليه، وجميع الذين فى المسيح صاروا يدوسون الموت إذ يمرون به، وكشهود للمسيح أصبحوا يسخرون من الموت، ويهزأون به قائلين: «فأين ياموت غلبتك، وأين يا موت شوكتك؟» (١).

(١) (١ . كورنثوس ١٥ : ٥٥) ـ (هوشع ١٣ : ١٤).

لقب حامى الإيمان

سؤال : من الإكليريكى كامل القمص ميخائيل - القوصية.

هل لقب «حامى الإيمان» الذى خلعته الكنيسة على القديس أثناسيوس الرسولى، قاصر عليه وحده دون غيره، أم هو لقب عام لكل الآباء الذين ذادوا عن الإيمان، ودافعوا عن المعتقد؟.

الجواب :

لقد أطلق على القديس أثناسيوس الرسولى لقب «حامى الإيمان» لأنه لولاه لما بقى الإيمان الأرثوذكسى إلى اليوم. لقد حارب البدعة الأريوسية خمسين سنة أو يزيد، وحمى الإيمان، فلقبوه بـ «حامى الإيمان». وجاء من بعده كيرلس الكبير فدافع عن الإيمان الأرثوذكسى ضد بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية فلقبوه بـ «عمود الإيمان». وجاء من بعده خلفه البابا ديوسقوروس، فناضل نضالا عنيفا ضد أعداء أشداء، وكان يصرخ كالأسد فى مجمع خلقيدونية «أنا لا أجدد. أنا أحافظ على الإيمان» فلقبوه أيضا بـ «حامى الإيمان».

فلقب «حامى الإيمان» أطلق أول ما أطلق على القديس أثناسيوس الرسولى، ولكنه أطلق أيضا على القديس كيرلس الكبير، وعلى القديس ديوسقوروس. وأمثالهم من المناضلين عن سلامة الإيمان.

س. ج

مع نيافة الأنبا غريغوريوس

بمناسبة إحضار رفات القديس أثناسيوس الرسولى (١)

أجرت الحديث الأنسه هدى فلتس.

سؤال: هل هناك علاقة بين إحضار رفات القديس مارمرقس الرسول والقديس البابا أثناسيوس الرسولى؟

الجواب:

يمكن أن أقول أن هذه العلاقة يرجع تاريخها إلى الدعوة التى وجهت إلى المتنيح البابا كيرلس السادس من بطريرك فينيسيا لحضور احتفالات فينيسيا بمرور ستة عشر قرنا على استشهاد القديس مارمرقس، وذلك فى ٢٥أبريل سنة ١٩٦٩أى بعد عودة رفات القديس مرقس إلى مصر واحتفالات القاهرة فى يونية ١٩٦٨.

وقد انتدب قداسته فى ذلك الوقت وفدا من بعض المطارنة والأساقفة والكهنة والأراخنة لحضور احتفالات فينيسيا تلبية لدعوتهم - وحين ذهبنا إلى فينيسيا وحضرنا تلك الاحتفالات، كان من بين الأماكن التى زرناها كنيسة القديس زكريا والد يوحنا المعمدان فى البندقية. فى هذه الكنيسة وجدنا مقبرة للقديس أثناسيوس الرسولى، وعلى مقبرته من فوق تمثال له بشكل جسمه راقدا مرتديا ملابسه الكهنوتية، وبيمناه الصليب، وبيسراه عصا الرعاية، وعلى

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٧عدد ٦، ٧ فى يونيه ويوليو ١٩٧٣م.

المقبرة مكتوب باللغة اللاتينية «القديس أثناسيوس بطريرك الأسكندرية ومعلم الكنيسة». وعند رجوعنا إلى القاهرة تحدثنا مع البابا كيرلس فى هذا الموضوع، وأعلمناه بوجود جسد القديس أثناسيوس فى كنيسة القديس زكريا. ومنذ ذلك الوقت بدأ قداسته المفاوضات مع كنيسة روما عن طريق سعادة سفير الفاتيكان بالقاهرة، كما طلب منى قداسته أن أقدم لـه بحثا فى هذا الموضوع. واستمـرت الاتصالات بخصـوص هـذا الموضوع طـوال حيـاة البابا كيرلس. واستؤنفت فى عهد قداسة البابا شنوده الثالث.

سؤال: ومتى بدأت المفاوضات؟

الجواب:

لقد بدأت منذ النصف الثانى من سنة ١٩٦٩.

سؤال: هل كانت الكنيسة القبطية تعلم بمكان جسد البابا أثناسيوس قبل اكتشافهم له عند زيارتكم للبندقية ضمن الوفد المنتدب لحضور إحتفالات البندقية فى ٢٥أبريل ١٩٦٩؟

الجواب:

كان ذلك معروفا منذ القرن الخامس عشر- ولكن الاهتمام بإعادة رفات القديس أثناسيوس بدأ متأخرا. ويعزى إلى نيافة الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج والمنشاة الفضل الأول فى توجيه نظرنا إلى زيارة كنيسة القديس زكريا بفينيسيا. لأنه كان من بين أعضاء الوفد البابوى القبطى لحضور إحتفالات فينيسيا بالقديس مرقس الرسول. وقد كان نيافته قد زار هذه الكنيسة من قبل عندما حضر كمراقب إحدى دورات مجمع الفاتيكان الثانى فى روما ممثلا لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

سؤال : لقد كان البابا أثناسيوس رئيس كنيسة الأسكندرية فما سبب وجود جسده بفينيسيا هل كان هناك عند وفاته؟

الجواب :

لقد تنيح البابا أثناسيوس فى الأسكندرية. ولما كانت القسطنطينية هى عاصمة الدولة البيزنطية التى كانت تحكم مصر فى ذلك الوقت، فقد استغلت القسطنطينية نفوذها وأمرت بنقل الجسد إلى القسطنطينية وكان ذلك فى القرن الثامن ثم نقل بعد ذلك إلى فينيسيا فى القرن الخامس عشر. وهذا ما تم أيضاً بالنسبة لجسد القديس مرقس الرسول الذى نقله البنادقة فى القرن التاسع من كنيسة ملكانية بالأسكندرية إلى بلدتهم فينيسيا - وأقاموا على جسده كاتدرائيتهم التاريخية العظيمة.

سؤال : هل تم تسليم الكنيسة القبطية وثائق رسمية تثبت أن هذه الرفات هى رفات القديس أثناسيوس؟

الجواب :

نعم، أن الكاردينال المختص بحراسة الذخائر المقدسة بالفاتيكان أعطى وثيقة رسمية ممهورة بتوقيعه ومكتوبة باللاتينية تشهد بأن الرفات هى للقديس أثناسيوس الرسولى وقد سلمها قداسة البابا بولس السادس إلى قداسة البابا شنوده الثالث فى يوم تسليمه الرفات وذلك فى يوم الأحد ٦ مايو سنة ١٩٧٣.

سؤال : ما هى المراحل التى مرت بها موافقة البابا بولس السادس بابا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على تسليمنا الرفات؟

الجواب:

لقد اعترضت فينيسيا فى مبدأ الأمر، كما سبق لها أن اعترضت بالنسبة لرفات القديس مرقس، وذلك بالطبع إعتزازا منها برفات القديسين، ولكن أمام إلحاح كنيستنا فى الحالتين استجاب البابا بولس السادس، توثيقا للمحبة ودعما لروح التقارب بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية.

سؤال: هل رأيتم قداستكم الرفات فعلا؟

الجواب:

نعم. لقد رأيتها بنفسى وهى عبارة عن عظمة كريمة ثمينة من عظام القديس أثناسيوس، وضعت من داخل كأس من الذهب الخالص صنعت خصيصا لها، وأغلق عليها إغلاقا محكما، ويمكن رؤية العظمة الكريمة من الأطار الزجاجى للكأس الذهبى، ثم وضعت الكأس فى صندوق خشبى مغطى بقطعة من قماش القطيفة الثمينة زيتية اللون، ولداعى السفر وضع هذا الصندوق فى صندوق أكبر حجما هو الذى شاهده الجميع فى الكاتدرائية المرقسية الجديدة بعد عودة البابا شنوده الثالث والوفد المرافق لقداسته.

ولقد أقام البابا شنوده الثالث والوفد المرافق له قداسا قبطيا بكنيسة القديس أثناسيوس بروما يوم الأحد ٦ مايو ١٩٧٣، انتهى فى الساعة الثامنة والنصف صباحا، واشترك مع قداسته فى خدمة القداس الإلهى المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة المرافقون. وبعد ذلك حضر الجميع القداس الذى أقامه البابا بولس السادس فى كنيسة القديس بطرس إحتفالا بذكرى نياحة القديس أثناسيوس الرسولى طبقا للتقويم الذى تتبعه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وقد جلس البابا شنوده مرتديا البرنس البطريركى على كرسى كبير عال، أقيم له

خصيصا أمام المذبح الكبير، وعن يمينه وعن يساره وقف شماسان، بيد أحدهما الحية النحاسية. وبعد تلاوة إنجيل القداس، ألقى البابا بولس السادس خطابا حيا فيه البابا شنوده وأشاد بكنيسة الأسكندرية وبالقديس أثناسيوس. وبعد القداس صعد البابا شنوده الثالث إلى المذبح وجلس على كرسى خاص أعد له، تلا من فوقه أمام مكبرات الصوت خطابه باللغة الإنجليزية. وبعد ذلك ألقى البابا بولس خطابه الثانى فى هذا اليوم. وبعد الكلمات تعانق الحبران الكبيران فى وسط تصفيق الجماهير، وحينئذ سلم البابا بولس رفات القديس أثناسيوس فى كأس ذهبى كبير للبابا شنوده. ثم نزلا الإثنان فى موكب رسمى من المذبح إلى خارج الكنيسة.

سؤال: من يوم الأحد ١٩٧٣/٥/٦ تاريخ استلامكم الرفات إلى يوم الخميس ١٩٧٣/٥/١٠ تاريخ رجوعكم إلى القاهرة، كيف تم احتفاظكم بالصندوق الحاوى للرفات المقدس؟

الجواب:

أمام غرفة البابا شنوده الخاصة وفى الجناح المخصص لقداسته ببرج القديس يوحنا، توجد مقصورة صغيرة، وضع الصندوق فوق مذبحها وكان يلازمه شماس البابا بصفة مستمرة.

سؤال: عدد المرات التى قابلتم فيها البابا بولس السادس - ومناسباتها؟

الجواب:

لقد قابلت البابا بولس السادس أربع مرات:

المرة الأولى: وأنا برتبة ايغومينوس سنة ١٩٦٣، وكنت منتدبا من البابا

كيرلس السادس وكنيستنا الأرثوذكسية لحضور الدورة الثانية لمجمع الفاتيكان الثانى، وعند ذاك قابلته مع سائر المراقبين المدعوين فى هذه الدورة. وبالنسبة للبابا بولس كانت هذه أول دورة يحضرها قداسته بعد تتويجه.

المرة الثانية: سنة ١٩٦٨ وكنت ضمن وفد الآباء المطارنة والأساقفة المنتدبين من البابا كيرلس السادس لاستلام رفات القديس مرقس وقد تسلمناه يوم السبت الموافق ٢٢ يونية سنة ١٩٦٨. وفيها ألقيت خطابا موجها إلى البابا بولس نيابة عن البابا كيرلس السادس.

المرة الثالثة: وكانت فى ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٩، بعد أن مثلنا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى إحتفالات فينيسيا بمرور ستة عشر قرنا على استشهاد القديس مرقس الرسولى. وكان هدف المقابلة فى هذه المرة هى دعوة البابا بولس لزيارة القاهرة وهو فى طريقه إلى أوغندا لتدشين كنيسة الاثنين وعشرين شهيدا فى كامبالا عاصمة أوغندا، وفى هذه المناسبة ألقينا خطابا أمامه... وقد رد بكلمة حيا فيها قداسته كنيسة الأسكندرية والبابا كيرلس والوفد، وقد جاء فى كلمة ألقاها إلى جماهير الشعب فى كنيسة القديس بطرس قبل أن نقابله المقابلة الخاصة فى قصره البابوى «فى وسطنا وفد من أقدم كنائس العالم وهى كنيسة الأسكندرية التى ساهمت مساهمة كبيرة فى نشر الإنجيل والدفاع عن العقيدة والإيمان، وقد خرجت عددا كبيرا من القديسين والعلماء من أمثال أثناسيوس الرسولى وكيرلس عامود الدين وبنتينوس وكليمنضس».

ولقد قبل قداسته الدعوة وقتها من حيث المبدأ، راجيا أن تتاح له الفرصة فى وقت آخر لتحقيقها وذلك، نظرا لأن دعوات كثيرة من جهات مختلفة وجهت الليلة من قبل، فاعتذر عنها جميعا.

المرة الرابعة: وهى المرة الأخيرة حيث كنت أحد أعضاء الوفد المرافق لقداسة البابا شنوده الثالث لإحضار رفات القديس أثناسيوس.

سؤال: أى الزيارات كانت أكثر تأثيرا على قداستكم وأكثر فاعلية من جهة ارتباط الكنيستين؟

الجواب:

الحقيقة أنه من الصعب على أن أجيب على هذا السؤال، إنما أستطيع أن أخص بالذكر زيارتنا سنة ١٩٦٨ لإحضار رفات القديس مرقس الرسول ثم الزيارة الأخيرة سنة ١٩٧٣ لأستلام رفات البابا أثناسيوس الرسولى.

سؤال: ما هى انطباعات قداستكم الشخصية فى هاتين المناسبتين الأخيرتين؟

الجواب:

فى المناسبة الأولى، كانت عارمة وشديدة، ويرجع ذلك إلى أنها أول مرة نتسلم فيها رفات قديس عظيم وتلميذ من تلاميذ السيد المسيح وهو مارمرقس الرسول، وخاصة لأن الحفل نفسه كان مهيبا جدا. وكوصف سريع لهذه الذكرى، أذكر أننا سرنا فى موكب رسمى، وكان البابا بولس السادس والأنبا مرقس مطران إيبارشية ابو تيج كرئيس للوفد، يتقدمان الموكب ممسكين معا بالصندوق الذى به الرفات المقدس للقديس مرقس، وسار الموكب فى خشوع ووقار إلى القاعة الكبيرة التى كان قد اجتمع بها عدد كبير من كهنتنا وشعبنا وعدد من كبار رجال الفاتيكان. ثم تقدم البابا بولس وسجد أمام الرفات وقبلها وهكذا صنع الأنبا مرقس وجميع المطارنة والأساقفة أعضاء الوفد بترتيب رسامتهم، كلهم سجدوا وقبلوا الرفات... وفى هذه اللحظة أنشد الكل

من كهنة وشمامسة وشعب قبطى - وكان عددهم يبلغ التسعين شخصا - بهتاف واحد الألحان الكنسية المناسبة والتماجيد ثم ألقى بعد ذلك الخطابان... وقد كان المشهد مؤثرا جدا ومهيبا للغاية.

ولا شك أن الظروف المصاحبة لاستلام رفات القديس مرقس مختلفة إذ كان التسليم كما ذكرته فى مقابلة خاصة مع الوفد الرسمى والأقباط الذين صحبوه، إلا أنه من الصعب طبعا أن نفاضل بين المقابلتين، لما لكل من المناسبتين من أثر كبير فى النفس. وفى المناسبة الثانية عدنا بكل إعتزاز وبكل إجلال وبكل فخر، نحمل رفات القديس أثناسيوس الرسولى الذى تعتبره الكنيسة مؤسس المسيحية الثانى بعد السيد المسيح، هذا الرجل الذى أجد فيه بالحقيقة طيلة عمرى مثلا أعلى للكفاح والنضال والدفاع عن الإيمان والثبات والصمود، ونموذجا لصاحب العقلية اللاهوتية الروحانية التى لم تخطأ أبدا... فى كل ما كتب القديس أثناسيوس خاصا بالإيمان المسيحى لم يخطأ إطلاقا حتى أن القديس غريغوريوس الثيولوغوس قال فيه «إذا وجدت كلاما لأثناسيوس ولم تجد ورقا فاكتبه على ثيابك» وفى مرة أخرى يقول فيه «أن من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها». أن هذا الرجل العظيم لم يكن لاهوتيا إيمانيا فقط، لقد كان روحانيا يمثل أرثوذكسية السيرة وأرثوذكسية الإيمان معا.

أقول من أعماق قلبى، إنى وجدت أن أنسب قديس أهدى إليه مؤلفاتنا فى «سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية» هو القديس أثناسيوس الرسولى. أذكر من بين عبارات الإهداء (فيك أيها القديس أثناسيوس رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معا. ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك

بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان. ولقد وهبك الرب عقلا شاخصا فى الإلهيات، فكان تعليمك سليما كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقا غاية الدقة... لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته من أسلافك، أيها البطريرك الرسولى. لذلك نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك تقديرا لتاريخك، واقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان.)، وأذكر عندما كنت بانجلترا أحضر لرسالة الدكتوراه فى الآداب والدراسات القبطية أن عقلى سرح طويلا فى حياة القديس أثناسيوس الرسولى وفكرت فى عمق فى مدى ما احتمله هذا الرجل العظيم من متاعب ومضايقات وحروب من داخل ومن خارج ، وكيف كان عدوه أريوس ذكيا أريبا عرف كيف يكسب الأصدقاء من حوله، ويضم إلى هرطقته الكثيرين، حتي صار أثناسيوس وحده الرأس العنيد الذى لو أحنى رأسه للأريوسية لزالت المسيحية الأرثوذكسية نهائيا. عند ذاك قلت ،أى أثناسيوس... كيف احتملت كل هذا، وصمدت أمام كل هذا... من من الناس يحتمل أن يقف أمام الرأى العام، أمام العالم كله، خمسين سنة كاملة... لا شهرا أو شهرين ولا سنة أو سنتين بل خمسين سنة كاملة... من تكون يا أثناسيوس... هل أنت حقا من لحم ودم؟... لو كنت حجرا لتفتت... لو كنت حديدا لذاب... لو كنت نحاسا لبلى... من تكون يا أثناسيوس؟ لو لم تكن رسولا من الله... وكان الله حقا عونك وسندك، كيف يمكنك كبشر أن تحارب هذه الحروب الطويلة الطاحنة...؟،

سؤال : هل لقداستكم أن تلقوا لنا ضوءا على تعاليم كنيستنا المعلمة فى تكريم عظام قديسيها؟.

الجواب:

إن عظام القديسين ارتسمت عليها حياتهم وكفاحهم وفضيلتهم. ألم يقل الرسول بولس «إني حامل في جسدي سمات الرب يسوع» (غلاطية ٦: ١٧) أن كل تعب تعبه القديس بولس، ترك أثره على جسده، وكذلك الحال بالنسبة إلى كل إنسان آخر... أليس حقا أنهم عندما يشرحون جمجمة إنسان يجدون كل خبرات الإنسان وكل معارفه وإحساساته وعواطفه، وكل خبرة روحية أو عقلية أو جسدية مرت بحياته قد تركت أثرها على مخه فيما يعرف بالتجاعيد وكذلك تترك أثرها أيضا على جهازه العصبي، بل وعلى كل عضو من أعضائه، فحياة الإنسان - أي إنسان - ترتسم ليس على جسده فقط من الخارج بل وعلى كل ذرة من ذرات جسمه. وهذا هو السبب في أنه في القيامة سيقوم الجسد عينه الذي رقد، «وما يزرعه الإنسان فإياه يحصد أيضاً». من هنا يختلف جسد إنسان عن جسد إنسان آخر. ولن تختلط في القيامة ذرات جسد إنسان بذرات جسد إنسان آخر، على الرغم من عوامل التحلل التي تدرك الجسد، وعلى الرغم من أن بعض الأجساد قد تكون قد دفنت في أماكن بعيدة، أي لن يحدث أي اختلاط بين الأجساد، إذ أن جسد كل واحد تكون مرتسمة عليه سمات حياته التي تميزه. من هنا كان إكرامنا لأجساد القديسين، لأننا نعرف ونؤمن أن هذه الأجساد إنما هي المسكن الذي عاش فيه القديس فترة من حياته، والذي تركت حياته أثرها على كل جزء فيه، لذلك فإن أي عظمة من القديس أثناسيوس تحمل كل صفات أثناسيوس، بل أن كل ذرة من أي عضو من أعضائه أو أي عظمة من عظامه، تلخص حياته كلها.

سؤال: هل اتيح لكم قراءة جميع مؤلفات أثناسيوس؟

الجواب:

تقريبا ـ ولقد بدأنا فى الكلية الإكليريكية منذ بضع سنوات تدريس كتابات القديس أثناسيوس والقديس كيرلس عامود الدين فى اللاهوت العقائدى حتى تقوم معرفة طلبة العلوم اللاهوتية على أساس دراسة نصوص أقوال الآباء المعتبرين فى الكنيسة أعمدة الإيمان. وإن للقديس أثناسيوس مؤلفات كثيرة أهمها تجسد الكلمة، الرد على الأريوسية، رسائل للوثنين، رسائل عن الروح القدس.... الـــخ.

سؤال: إن احتفالاتنا لتمجيد القديس أثناسيوس، وما بذل فى سبيل استرجاع رفاته إلى الكنيسة القبطية يذكرنا بالقديس كيرلس عامود الدين، فأين يوجد جسده؟ وهل نال منا التكريم اللائق به وما بذله واحتمله دفاعاً عن الإيمان؟

الجواب:

إن رفات القديس كيرلس عامود الدين موجود فى الأسكندرية مع الآباء البطاركة المدفونين هناك. أما من جهة تكريمنا له، فالحق أنه لم يعط حقه بعد من التكريم. لقد أقيمت له إحتفالات عالمية سنة ١٩٤٤فى ذكرى مرور ستة عشر قرنا على إنتقاله، إلا أننا لم نسهم فيها كما ينبغى، فيما عدا بعض المقالات التى اشتمل عليها كتابا «كيريليانا» الذى صدر لهذه المناسبة، عن تاريخ هذا القديس وإيمانه وجهاده فى سبيل الدفاع عن إيمان أثناسيوس، إيمان الكنيسة الأرثوذكسية المستقيمة الرأى.

REFERENCES

1. St. Matthew XVI, 18.
2. I. JOHN II, 27.
3. PSALM XXII (XXIII), 2.
4. ROMANS IX, 21, II TIMOTHY II, 21.
5. Acts X, 10; XI, 5; XXII, 17.
6. Revelation 1, 10.
7. Acts X, 10; XI, 5; XXII, 17.
8. Acts VII, 55; IX, 4-6, 17; XXII, 6-8, XXVI, 13-18; 1. Corinthians IX, 1; XV, 8; II Corinthians XII, 1-4; Galatians 1, 12; Ephesians III, 3-5.
9. The Orations of St. ATHANASIUS against the Arians, the First Oration : 18; the Third Oration: 15, 16.
10. Isaias XXVI, 4.
11. 1. Petrus I, 16; Leveticus XI, 44, 45; XIX, 2; XX, 26.
12. 1. Thessalonians V, 17 (Pray without Ceasing).
13. St. ATHANASIUS, The Orations Against the Arians, I, 10.
14. St. Matthew V, 44.
15. Hebrew XI, 4.

PETER, St. GEORGE, and the rest of the martyrs. His life was an every day witness of the Suffering Christ. Even now and after he passed over to the other life, his own life and his writings became to the living Church, an example, a method, an exemplar to follow, or as St. PAUL put it, "he being dead yet speaketh."(15)

and spiritual minds. In ATHANASIUS' writings of controversy one often is impressed by this feature of changing the atmosphere of dialectics and polemics into a deeply spiritual atmosphere full of worship and prayer. This is an evidence of his spirituality and an expression of his piety and devotional life and how he was overwhelmed with the love of God.

In short, ATHANASIUS was a teacher whose teaching is characterised with sincerity, honesty and accuracy. He was also a holy man whose mind and heart are distinguished by deep religiousness and high sublime spirituality and profound mystical experience.

All this explains to us why he suffered in his life that much. His pains were not the usual pains of the ordinary type which any human might go through. His sufferings were of another type, on a higher spiritual level, caused mainly by the Devil himself who showed great interest in him and who raged against him all the develish power and wars.... Yet the Warrior of god namely ATHANASIUS, was not burnt by this burning war of hell. His sufferings increased his spirituality and made him more pure and holy. His wounds changed into pearls which decorated his crown of glory.

St. ATHANASIUS was not put to death as a martyr. He did not die in the same manner as St. STEPHEN, St. JAMES, St.

words and expressions qualifying the Incarnation and the Union as ineffable, unexpressible, unattainable, incomprehensible, beyond human ken, beyond description, too great for words. This attitude of using such expressions denoting the human limitations to comprehend what is most high to the mind of man is made clear in the teaching and writings of St. KYRILLOS of Alexandria and in the writings of the Alexadrian fathers generally contrary to the attitude of the Antiochian school of theology and its adherents and pupils who went to a far extent in using human speculations as to form words and definitions and to use Aristotelian logic and to apply its principles to theological matters in the same manner as if they were treating of human categories. ATHANASIUS and the Alexandrian fathers were far from this me thod of using their human logic and human categories in treating of the Incarnation. Through mystical experience they knew how to overcome the difficulty of expressing the mystery of the Incarnation in adequate words comprising the whole meaning thereof.

6. In his writings, ATHANASIUS proved to be that mystical of high and deep spirituality. Frequently he meditated on the mystery of the Incarnation and the mystery of the Redemption, and Atonement so that his reader would be touched by this kind of weaving theological speculations into spiritual contemplations in a way attractive to both the theological

teaching of his Master the Christ Who says, "Love your enemies, bless them that curse you, do good to them that hate you, and pray for them which despitefully use you and persecute you. (14)

Moreover, ATHANASIUS did not hesitate, later on, to receive some of the repentant Arians and other heretics into his fellowship and in the communal life of the church. For this reason he was criticised by some of the clergy and laity who expected him to refuse the heretics or to take strict measures against them.

5. In evidence of his spirituality and his mystical experience, whenever ATHANASIUS professed his teaching concerning the Incarnation of the LOGOS, the Nature of the Almighty, the Union between the divinity and humanity in the Christ, and similar theological subjects, he always felt his limitations, to grasp the conception of the Infinite. ATHANASIUS , out of a mystical experience, expressed his modesty to speak of the Nature of Godhead and of godly matters.

He was cautious enough to express very erplicitely his inability to find adequate words. This is why the Incarnation was to him a mystrery; the Trinity, a mystery; the Redemption, a mystery; the Union which took place between the divinity and humanity in the Christ, a mystery. He often used, in his teaching

experienced complete silence and the life of "incessant prayer".(12) Even after becoming pope. St. ATHANASIUS frequently took refuge in the desert where he lived as a simple monk practising abstinence, humility and self mortification. At such times of retirement he wrote some of his most important books. The monastic tenets and ideals had influenced his total life and left its prints on his way of living and even on his clothing. During his exile in Rome, Trêves in Belgium and some other parts in the west, clergy and laity were impressed by his simple clothes. Oftentimes he was asked by aristocrats to explain why he was simply clothed and he answered that he was following the example of his master ANTONY.

4. Deep spirituality was one of the characteristics of the great father of Alexandria. It was so vivid and strong even in his firm stand against ARIUS, and Arians of his time. In face of all their assaults and despite his suffering from them, he did not speak with ill will against any of them. He never hated them, he never bore malice to them. He used to say that our real adversary is not ARIUS nor the Arians but the devil himself.(13)

This expression from a suffering champion of Faith is a conclusive evidence of his true peity. Even the malice from the part of ARIUS and the Arians could not snuff out his love towards all men including his vicious enemies in confomity with the

opponent, ARIUS, were the innocent and the good. It seemed as if the very face of Christianity was about to be wiped out. Yet against all odds, ATHANASIUS suffered patiently for fifty years. Had he been of iron, he would have melted away, had he been of stone, he would have been hacked. But ATHANASIUS was something far superior, something of different mettle: he was a man whom the Grace of God had rendered stronger than iron and tougher than stone. He was a rock, and "the Rock of ages(10) i.e. Christ, the guarantee of His Church, stood behind him and overshadowed him.

3. ATHANASIUS was a saintly man who led a pure untainted simple strict life. He lived sometime as a monk in the desert and the rest of his life he lived a pure chaste life, the life of an ascetic wholly consecrated worshipper of God Who said: "Be Ye holy; for I am holy".(11)

In his early life, ATHANASIUS was a disciple of St. ANTONYof Egypt, Star of the Desert and Father of all monks. He had the pleasant task of washing the hands of that holy man to whom he was a spiritual son. St. ATHANASIUS repeatedly mentioned this fact regarding it as a blessing for himself by the great ascetic ANTONY. In this wise, ATHANASIUS absorbed of St. ANTONY the spiritual ascetism, practices of strict self discipline, soberness, and the denial of all wordly vanities. He enjoyed the tranquillity and the calm of the desert. He

Greek: this translation is known as the Septuagint. Such work on the part of a king is an evidence of the strong influence of the jews in Egypt. The jews, too, supported ARIUS against ATHANASIUS for the latter was to them an apostata legis and an antagonist to Monontheism.

The Byzantine Empire with all its weight and force became a real adversary and opponent to ATHANASIUS. Even emperor CONSTANTINE I who at a time was full of admiration for ATHANASIUS and qualified him with the title of "the champion of the Church of God" changed his attitude and policy and banished ATHANASIUS. ATHANASIUS was exiled first by CONSTANTINE 1, then by his imperial successors five times.

All the powers of evil harassed ATHANASIUS most mercilessly and he was badly oppressed by all forces. Some times, ATHANASIUS appeared as if the very Providence deserted him or even forsook him. An emperor who deeply respected him and authorised him to return to his See ruled for seven months only and the hard time started afresh to strike repeatedly at ATHANASIUS.

This is the only method by which we can understand how all the factors contrived against St. ATHANASIUS to accumulate his agony and why he was entitled "ATHANASIUS CONTRA MUNDUM". Everything coalesced against him. He appeared to the majority as if he were the heretic, the apostate, and that his

tic ideas. He so contrived to make these poems attractive to the extent of winning great numbers to his side; thus causing them to slip without even recognizing the real danger or realizing the error implied within them.

In addition, a number of priests and even bishops, joined ARIUS In his thinking. ARIUS thus succeeded in gaining the majority of followers at the expense of ATHANASIUS who had but only a limited minority still adhering to his Faith.

Above all, we should not forget that paganism was still prevalent in Egypt. Heathens certainly backed ARIUS in his struggle against ATHANASIUS. ARIUS, in fact did nothing more than adopting a heathen thinking which he had already found before him in heathen philosophy; namely the LOGOS had to be created as a medium to create the world. ARIUS, however, clothed this heathen theory in Biblical terms by twisting the meaning of Biblical texts and misinterpreting them. And that is exactly what St. ATHANASIUS said of him, "These ideas (of ARIUS) are heathen ideas"(9).

Ἑλλήνων ἴδια ταῦτα

Besides, the jews in Egypt were a large organized body which exercised a strong influence, on the Egyptian community. PTOLEMY PHILADELPHUS one of the rulers of Egypt did his best to gain the approval of the jews to his rule, so he invited seventy rabbis to Alexandria to translate the Old Testament into

and far future of the Church was revealed to him. He was "in the Spirit", (6) in an ecstasy(7) when he witnessed those things. He was in real contact with the Supreme Being His heart was touched by the Eternal Fire and the Everlasting. True Light. His heart therefore was emblazoned and inflamed by the Eternal Fire and illumined by the True Light. In this sense we understand St. John the Apostle as Teologos, i.e. the one who speaks and treats of God in a state of trance,(8) in the beatific vision of God.(9)

The same may be applied to St. GREGORIUS of Nazianza who has been entitled "The Theologos". St. ATHANASIUS, too, was a theologos in this very same meaning attributed to St. John and to St. GREGORIUS of NAZIANZA.

2. St. ATHANASIUS was a holy man because he suffered for the Faith enduring troubles, tribulations and persecutions. These tribulations pressed him soarly but could not dry his soul. He stood firmly and did not shake.

His enemy, that is ARIUS, was a stubborn enemy. He was clever, intelligent, eloquent and cunning. ARIUS tried to simplify or rather to deform the problem in question; to put it in a way understandable and attainable to the common man in the street, to women and even to chlidren, so that the profession of ATHANASIUS might appear to the majority of the people absurd and impossible. ARIUS, moreover, composed poems, known as The Thalia θαλεία in which he expressed his here-

Was ATHANASIUS a philosopher? Was he an ingenious thinker? Certainly not. He was by far greater than a philosopher or a consummate thinker of worldly fame. He was of a prophetic type. Like unto an apostle, he was a good and clear trumpet in the hands of the LOGOS who breathed into him by the Holy Spirit and caused him to enunciate and utter the right teaching revealed to him. And he himself was a most befitting instrument without any impediment on his side, to prevent the ample flow of the Holy Spirit. This accounts for his teaching being pure, clean and clear. Like unto a prophet and an apostle ATHANASIUS was infallible in what he taught and said and wrote. He was indeed "a vessel unto honour".(4)

ATHANASIUS was not a theologian, rather was he a theologos in the very sense of the word in its pristine use. Theology in our time has become a kind of knowledge gained by reading and contemplating what is there, in books written by those called theologians. Each one now can now have his own understanding of theology. Theology now has become nearly identified with ideology or philosophy. One may say "my theology", "your theology". This was not the case with the primitive application of the word which was first used to qualify St. John the Apostle, the writer of the Apocalypsis. Rather was he called Theologos and not theologian because, in a state of trance, (5) he saw things which the ordinary eyes of man can not see, and the near

After sixteen centuries, the teaching of St. Athanasius still pievails dominating our Christian thinking and still acknowledged as the full expression of the Faith of the Universal Church. We may even add that Christians nowadays recognize more than ever that Athanasius teaching was and still is binding all christians in east and west : Orthodox, Catholics and Protestants in Africa as well as in Europe; Asia, America and Australia, the living as well as the departed. All Christians irrespective of their denominations and Churches, in spite of their differences in colour, race, language of speech, geographical localities, hold the firm conviction, now more than ever that ATHANASIUS was and still is their common father; his teaching was and still is the rock upon which the Christ has built His Church and the gates of hell shall not prevail against it (3) A colloquy held in FRANCE, in a western country, in September 1973 and attended by about 80 eighty competent scholars coming from different parts of the world and representing Catholic, Orthodox and Protestant Churches is a covincing evidence of the fact that ATHANASIUS was and still is the common father of all Christians who binds them all by his fatherly love; and the good shepherd following the example of his Master; and gathers under his pastoral staff the flock of his Master the Christ to lead them all to the green pastures.(3)

infailibility of the Church. Blessed be Athanasius who was to the Church in his time the honest guardian and keeper of the vineyard that has but one Lord and he did not make of himself except an honest and loyal servant and steward only.

II

THE SPIRITUAL LIFE OF ST. ATHANASIUS

ATHANASIUS was a saintly man, a holy man of God.

ATHANASIUS was one among the few who are recognized by the Church as teachers and saints at the same time.

1. The science which ATHANASIUS learned of God and of godly things was not that kind of science which man receives from books or teachers in schools, although ATHANASIUS himself was a pupil and a student of the School of Alexandria. The science which he received was rather of that kind of which St. John in his first epistle describes as the science coming directly from God.(2) Because the teaching which St. ATHANASIUS taught was wholly and perfectly pure, right, correct, sound and true, it could never be emerging from a human source. Also because the teaching of St. Athanasius was and still is the right and true expression of the Faith of the whole Church Universal it could not come out of a human mind nor of human knowled or human experience.

be not in good condition or fit enough for its purpose it could be, because of that, a hindrance to presenting a fine art.

St. ATHANASIUS was one of the very few people who was really a good and fit instrument that could receive easily and without hindrance that which the Holy Spirit wished to say to the people of his time, and he could honestly and accurately and without distortion transmit what the Holy Spirit wished to communicate.

St. ATHANASIUS was not merely among the fathers of the Church but he was of the few who gained the title of a teacher and doctor of the Church. He was the one to speak out of the whole Universal Church of the Christ. Whatever he said has been adopted by the Church Universal as the sound and perfect teaching of the Church. In a word, he was and still is recognized as the spokesman of the Church Universal of Chirst.

It is an established biblical fact that no human being by nature is infallible, but we may say that St. ATHANASIUS was protected by a special grace from falling into heresy or deviation from the Orthodox faith in the Christ. We may say without hesitation that he did not err in all that he taught and said. He was indeed an honest witness to the Christ. And it was the Christ who protected him from erring because the Christ promised to safeguard His Church and that He would not permit "the gates of hell to prevail against it".(1) The Christ is the guarantee of the

I

THE TEACHING OF ST. ATHANASIUS

St. ATHANASIUS taught the right teaching. Whatever he taught was, and still is the right and exact Orthodox teaching of the Church. In spite of the fact that he lived in the Fourth Century and that there were not many christian books in his time, yet he was able to absorb the teaching of Christ transmitted to the Church through tradition and the Holy Scriptures, to understand it and to assimilate it, and to express it rightly and accurately and honestly.

ATHANASIUS was a good recipient of the Holy Spirit. He was a sound instrument to receive the inspirations of the Holy Spirit. How few and rare are those who can be good instruments, who can honestly and perfectly transmit the inspirations and effects of the Holy Spirit without being changed or even coloured by one factor or another which might distort the clarity thereof.

A prophet or an apostle or a teacher in the Church is likened unto a musical instrument which a musician, blows. If the instrument is not in good condition, no sound tone could be transmitted through it, however competent the musician may be. An apostle or a teacher in the Church may be also likened unto a brush in the hand of a painter on a piece of paper or cloth or even on a wall. He may be likened moreover unto a pen or pencil with which a writer or a scribe writes. If the brush or the pen

THE ENGLISH RENDERING

A. The firm steersman. The good fighter.

The victorious in the battles. The Lamp which Shone.

B. The herald of Orthodoxy is Athanasius the Apostolic.

The teacher of the reasoning flock of the Christ.

C. They upright doctrines struck the heart(s) of the heretics: Like a two-edged sword: by the power of the Trinity.

D. Every knee bowed unto the Lord.

Every tongue praises Him.

The glory of God spread forth:

filled the face of the inhabited world.

E. In like manner we exalt thee: with David, the Singer: for thou art the priest for ever: after the order of Mel-Chized-ek.

F. Hail to thee O great Patriarch:

our holy father abba Athanasius:

whose holy teaching enlightened our minds.

G. Blessed art thou, indeed: our holy father the Patriarch abba Athanasius the Apostolic, the beloved of the Christ.

H. Entreat the Lord on our behalf:

our holy father abba Athanasius, the beloved of the Christ, that He might forgive us our sins.

In our Coptic hymnody and doxology, a hymn is recited and chanted in Coptic, on St. A T H A N A S I U S, Day (the 7th of the Coptic month of P A S H O N S, which coincides with the 15th of May) praising him. Here we give the English rendering after the Coptic text:

Ϯⲇⲟⲝⲟⲗⲟⲅⲓⲁ

ⲙ̀ⲫⲏⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅ Ⲁⲑⲁⲛⲁⲥⲓⲟⲥ ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲓⲕⲟⲥ

1. Ⲡⲓⲕⲩⲃⲉⲣⲛⲏⲧⲏⲥ ⲉⲧⲧⲁϫⲣⲏⲟⲩⲧ: ⲡⲓⲣⲉϥⲙⲓϣⲓ ⲛ̀ⲕⲁⲗⲱⲥ:
ⲡⲓⲣⲉϥϭⲣⲟ ϧⲉⲛ ⲛⲓⲃⲱⲧⲥ: ⲡⲓϧⲏⲃⲥ ⲉⲧⲁϥⲉⲣⲟⲩⲱⲓⲛⲓ.
2. Ⲡⲓⲕⲏⲣⲩⲝ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲓⲁ: ⲡⲉ Ⲁⲑⲁⲛⲁⲥⲓⲟⲥ ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲓⲕⲟⲥ:
ⲡⲓⲣⲉϥϯⲥ̀ⲃⲱ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲟϩⲓ: ⲛⲗⲟⲅⲓⲕⲟⲛ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ.
3. Ⲁ ⲛⲉⲕⲇⲟⲅⲙⲁ ⲉⲧⲥⲟⲩⲧⲱⲛ: ⲙⲓϣⲓ ⲙ̀ⲡϩⲏⲧ ⲛ̀ⲛⲓϩⲉⲣⲉⲧⲓⲕⲟⲥ:
ⲙ̀ⲫ̀ⲣⲏϯ ⲛ̀ⲟⲩⲥⲏϥⲓ ⲛ̀ⲣⲟ ⲃ̅: ϩⲓⲧⲉⲛ ⲧ̀ϫⲟⲙ ⲛ̀ϯⲧⲣⲓⲁⲥ.
4. Ⲁⲕⲉⲗⲓ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲕⲱⲗϫ ⲙ̀ⲡⲟ̅ⲥ̅: ⲁ ⲗⲁⲥ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲥ̀ⲙⲟⲩ ⲉ̀ⲣⲟϥ:
ⲁ ⲡ̀ⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲫϯ ⲟⲩⲱϣⲥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ: ⲁϥⲙⲟϩ ⲙ̀ⲡϩⲟ ⲛ̀ϯⲟⲓⲕⲟⲩⲙⲉⲛⲏ.
5. Ⲱⲥⲁⲩⲧⲱⲥ ⲧⲉⲛϭⲓⲥⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲕ: ⲛⲉⲙ ⲡⲓϩⲩⲙⲛⲟⲇⲟⲥ Ⲇⲁⲩⲓⲇ:
ϫⲉ ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲡⲉ ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ ϣⲁ ⲉⲛⲉϩ: ⲕⲁⲧⲁ ⲧ̀ⲧⲁⲝⲓⲥ ⲙ̀Ⲙⲉⲗⲭⲓⲥⲉⲇⲉⲕ.
6. Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲙ̀ⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ: ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲁⲃⲃⲁ Ⲁⲑⲁⲛⲁⲥⲓⲟⲥ
Ⲫⲏⲉⲧⲁ ⲛⲉϥⲥ̀ⲃⲱⲟⲩⲓ̀ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ: ⲉⲣⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲥ.
7. Ⲱⲟⲩⲛⲓⲁⲧⲕ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ: ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲙ̀ⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ:
ⲁⲃⲃⲁ Ⲁⲑⲁⲛⲁⲥⲓⲟⲥ ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲓⲕⲟⲥ: ⲡⲓⲙⲉⲛⲣⲓⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ.
8. Ⲧⲱⲃϩ ⲙ̀ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲉ̀ϩ̀ⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲛ: ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅ ⲁⲃⲃⲁ Ⲁⲑⲁⲛⲁⲥⲓⲟⲥ:
ⲡⲓⲙⲉⲛⲣⲓⲧ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡⲭ̅ⲥ̅: ⲛ̀ⲧⲉϥⲭⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ.

SIXTEENTH CENTENARY OF SAINT ATHANASIUS OF ALEXANDRIA

373 - 1973

THE SIGNIFICANCE OF SAINT ATHANASIUS FOR THE COPTIC ORTHODOX CHURCH

by

Bishop GREGORIUS

BISHOP IN CAIRO

For Higher Theological Studies, Coptic Culture and SCIENTIFIC RESEARCH

يا قديس الله !
يا أثناسيوس الرسولى !
يا بابا الشرق والغرب !
ومعلم المسكونة !
أيها الخالد ، الذى وإن مات لكنه لن يموت !
أيها البرج العالى فى الروح والنفس !
والغور البعيد فى الفكر والحب !
أيها العملاق الضخم الذى فاق كل عمالقة
التاريخ من البشر !
والواحد الذى غلب الملايين !
والسابق الذى جرت فى أثره القرون !
خبرنى كيف أمكنك أن تقف فريداً ووحيداً
ثم تغلب ؟!
كيف قاومت العالم بأسره ؟!
هل أنت من صخر ، ولست من لحم ودم ؟!
أو هل أنت روح بلا شهوة ؟!
أو عقل بلا غفلة ؟!
يا حامى الإيمان !
أنت سر ... وسر الرب فى خائفيه !